الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

ملامح الادب الكولونيالي عند العرب

دراسة تطبيقية لرواية مالك حداد ليس في رصيف الازهار من يجيب

مذكرة مقدمة لنيل ماستر في اللغة والأدب العربي

التخصص :

أدب جزائري

إعداد الطلبة:

-صبرينة هاشمي

-مزوري بولنوار

إشراف الأستاذ:

محمد مكاكي

السنة الجامعية:

2017/2016

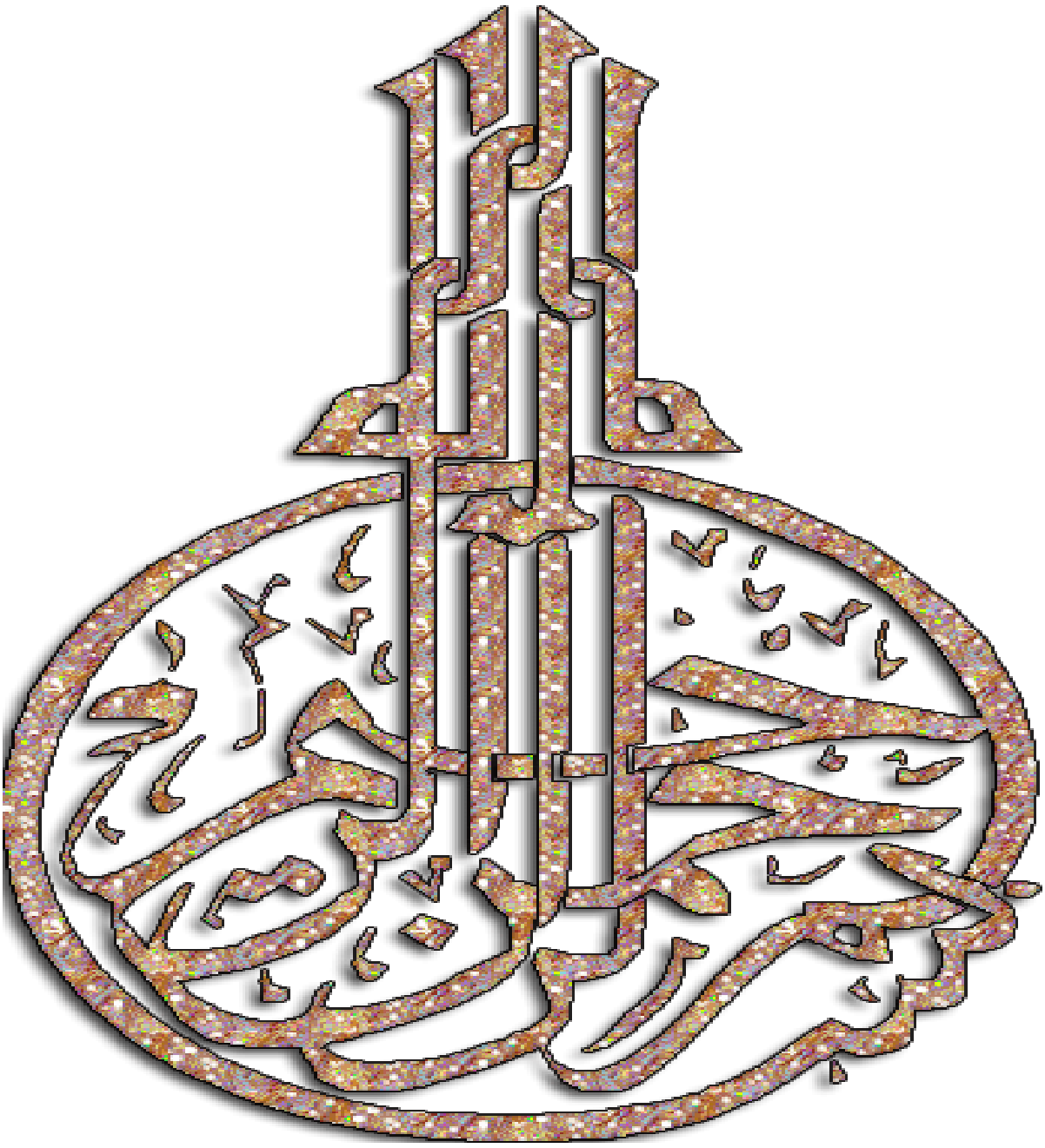

شكر و عرفان

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله

يسرنا نحن في هذا المقام

أن نتقدم بالشكر الجزيل

إلى كل من ساهم من قريب أو من بعيد

في إنشاء هذا البحث

ونخص بالذكر اللسان الحكيم والعقل الرشيد:

الأستاذ "مكاكي محمد"

الذي أشرف على هذا البحث و اتبع كل خطواته

وشكر خاص إلى جميع أستاذة

كلية الأداب واللغة العربية

الذين لم يبخلوا علينا

بنصائحهم وإرشاداتهم

إهداء

إلى ملاكي في الحياة...إلى معنى الحب والى معنى الحنان والتفاني...إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي أغلى الأحباب أمي الحبيبة.

إلى من كله الله، بالهيبة والوفاء...إلى من علمني العطاء بدون إنتظار...إلى من أحمل إسمه بكل افتخار...أرجو من الله أن يمد في عمرك لنرى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كما تلك النجوم اهتدى بها اليوم و في الغد إلى الأبد والدي العزيز.

إلى أخي ورفيق دربي في هذه الحياة بدونك لا شيء، معك أكون أنا، بدونك أكون مثل أي شيء...في نهاية مشوار الدراسي، أريد أن أشكرك على مواقفك النبيلة إلى من تطلعت لنجاحي بنظرات الأمل...أخي عمار

إلى من أرى التفائل في أعينهم...والسعادة في صحتهم...إلى الأوجه المفعمة بالبراءة ولمحبتكم أزهرت أيامي إخوتي: أحلام، حورية، بختة، فاطمة، حميدو، مصطفي، وزوجة أخي خديجة.

إلى أنسابنا: محمد، عبد القادر، حمزة، جيلالي.

إلى براعم العائلة الذي يحلون البيت إلى مذاق العسل:غلام، أية، دعاء، يونس، وليد، إياد نور الهدى، إسحاق، إياد، ريان، أدم، والكتاكيت الثلاثة، صهيب، أيوب، مهدي.

إلى من تذوقت معهم أجمل لحظات إلى من سأفتقدهم: صبرينة، لويزة، عفاف، ليليا.نور الهدي

إلى توأم روحي إلى صاحبة القلب الطيب مروة وأمها الغالية لويزة وكتكوت الصغير ريان

اهدي ثمرة جهدي إلى جميع أساتذة كلية اللغة العربية وأدابها، وخاصة أستاذ مكاكي محمد التي كان عونا لنا في بحثنا هذا ونور يضيء الظلمة التي كانت تقوم أحيانا في طريقنا. " **مزوري**"

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع.....إلى من فقدته في ليلة اختفت فيها كل الأنوار...إلى من علمني العطاء بدون إنتظار...إلى من أحمل إسمه بكل افتخار...إلى من أودعني...ستبقى نصائحك وكلماتك أهتدي بها اليوم و في الغد وإلى الأبد.

روح والدي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته

إلى أحن صدر عليا في صغري... إلى سندي وقوتي بعد الله ...إلى من فاق حبي لها حبات الرمل وأوراق الشجر وقطرات المطر...إلى أعذب كلمة ينطق بها لساني.

أمي الغالية أطال الله في عمرها

إلى من شاركوني حضن أمي: زوهير، مريم، إبتسام

إلى كل من أعمامي: أحمد، مصطفى، محمد، عبد الله

إلى كل صديقاتي: مزوري، نعيمة، خيرة، مريم، شهيناز، ليلى، عفاف، لويزة، فيفي، سمية، نعيمة، نبيلة، دليلة، جميلة.

إلى كل أساتذتي من الطور الابتدائي إلى طور الجامعي

إلى كل من تحملهم ذاكرتي، ولم تحملهم مذكرتي.

"صبرينة"

مقدمة

المقدمة:

يعتبر موضوع الدراسة الكولونيالية من أهم الدراسات المتجددة نظرا لارتباطه بمجالات معرفية كثيرة جعلته في كل مرة ينتج نظريات ومعالجات متجددة للنص الأدبي.

أما بالنسبة لمصطلح "الكولونيالية" يبقى المصطلح الذي حاول وبكل قوة أن يفرض نفسه على الدول العربية، ويبقى أيضا المصطلح الذي يحمل كل معاني الظلم والاستبداد والاستعمار والعنف والأساليب الشنيعة والهيمنة ومن خلال هذا يتضح لنا أن الكولونيالية لها تأثيرات على الصعيد الجغرافي والإنساني حيث نجدها متداخلة فيما بينها ، وضمن هذا الوضع نجد أن المجتمع العربي وجد نفسه مجبرا على الاحتكاك بالثقافات الغربية والانفتاح على علومها والاستفادة من مختلف اتجاهاتها.

.كما نضيف أيضا أن المجتمعات العربية كانت خاضعة لمقولة :

. " المغلوب مولع بإتباع الغالب " وهذا يعني أن الغرب هو الأسبق وهو الذي أخذ الصدارة ونحن أصبحنا في مرتبة متأخرة في التصنيف المجتمعي فالواقع العربي لا بد أن يأخذ من الغرب أفكاره ومذاهبه، وهذا بالفعل ما عرفه الواقع العربي ، غير أنه الواقع المفروض علينا.

وانطلاقا من هذا البحث في أنفسنا أن نتناول دراسة ملامح الأدب الكولونيالي والسبب الموضوعي لاختيار هذه الدراسة هو قلة البحوث التي قامت بتناول هذا الموضوع، أما السبب الثاني هو الرغبة الجامحة للتعمق في هذه الدراسة ولتعمق أكثر قمنا بإتباع المنهج الوصفي التاريخي، ومن خلال هذا البحث صادفتنا الكثير من الصعوبات منها قلة المصادر التي تختص بهذه الدراسة، بالإضافة إلى ضيق الوقت الذي لم يكن في صالحنا أبدا.

و رغم هذه الصعوبات لم نصيب بالفشل بل أصبحنا أكثر إرادة لتصدي هذه الصعوبات كما اخترنا كيف نبدأ؟ ومن أين نبدأ؟ ولكننا تملكنا أنفسنا وتفكيرنا برهة وأحسسنا حينها ببعض الألم والتعب.

عندما تناولنا موضوع "ملامح الأدب الكولونيالي عند العرب" وجدنا أن مجموعة كبيرة من النظريات والمبادئ والآراء والاتجاهات الفكرية قد ساهمت وبدور كبير في تطوير هذا الأدب وتعميقه بمختلف الطرق والأساليب، وقد وجهنا بحثنا هنا عبر معالجة بعض الإشكاليات ألا وهي :هل الكولونيالية وبالرغم من كونها مصطلح جديد نوعا ما استطاعت أن تصنع لنفسها مكانة في الوسط العربي ؟ وهل الكولونيالية كانت لها تأثيرات على الأدب ؟ وهل تأثرت اللغة بالكولونيالية ؟.

من أجل معالجة هذه القضايا قمنا بوضع خطة منهجية للبحث مكونة من تمهيد وفصلين، حيث تناولنا في التمهيد تعريف الكولونيالية لغة واصطلاحا مع ذكر المصطلحات التي تحمل نفس المعنى مع الكولونيالية بالإضافة إلى تعريف الاستعمار عند فلاسفة المعاصرين دون أن ننسى التوسع الكولونيالي ونشأته و أشكاله و أساليبه و أثاره ، لننتقل بعد ذلك إلى تقسيم هذا البحث إلى فصلين : فصل نظري يحمل عنوان ملامح الأدب الكولونيالي وارتباطاته ليتفرع هذا الفصل إلى مباحث ، المبحث الأول تحدثنا عن مفهوم الكولونيالية ،أما المبحث الثاني فتناولنا من خلاله تأثير الأدب الكولونيالي في الخطاب ، بالإضافة إلى المبحث الثالث الذي تطرقنا من خلاله إلى تأثر الأدب بالكولونيالية وفي الأخير نذكر المبحث الرابع الذي تناولنا فيه الأدب الكولونيالي وعلاقته باللغة، أما بالنسبة للفصل الثاني الذي هو فصل تطبيقي يحمل دراسة تطبيقية لرواية مالك حداد تحت عنوان " ليس في رصيف الأزهار من يجيب" .

ـ وهذا الأخير يستحق منا كل التقدير والشكر وحقه علينا أن نعود إلى ما قام به من أعمال ونبقى دائما في تواصل مع أعماله وهذا من خلال البحث في مسيرته و أن نكشف النقاب عن أعماله ونطيل البحث وراء خطواته.

ولتحليل هذه الرواية قسمنا الفصل التطبيقي إلى ثلاثة مباحث ، المبحث الأول تحدثنا عن حياة الأديب مالك حداد وأعماله ، أما المبحث الثاني وقمنا بتحديد ملامح الكولونيالية في رواية مالك حداد و في الأخير نذكر المبحث الثالث الذي وضعنا فيه ملخص الرواية.

و أخيرا في نهاية هذا البحث نصل إلى جملة من النتائج التي استنتجناها من خلال هذا الأخير إلى المجموعة من المصادر والمراجع التي فتحت لنا شهية البحث، والنتائج التي توصلنا إليها قد تكون متواصلة بالنسبة لحجم هذا الموضوع وقيمته.

ـ وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الكبير إلى كل من ساعدنا في انجاز هذا البحث سواء بكتاب أو بنصيحة أو بملاحظة مهما كانت بسيطة ، ونخص بالشكر أستاذنا المشرف "محمد مكاكي" الذي لولاه لما كان هذا البحث أن يرى النور.

ونرجو من الله أن يكون هذا العمل الخطوة الأولى ومبادرة الخير إلى أعمال أخرى.

تمهيد
الأدب الكولونيالي وتجلياته

تمهيـــد:

تعج ساحة النقد الأدبي بالعديد من الدراسات الجديدة و الممارسات الحديثة مع ظهور عدة سمات و ملامح تختص بالكشف عن أبعاد النص الأدبي و آلياته الفاعلة و هذا من خلال الوصول إلى طبيعة العمل و استخلاصه و أشكال الكتابة المختلفة وقد تضم هذه الساحة الشاسعة الدراسات الاستعمارية الكولونيالية ،التي تعتبر أطروحة تفرض نفسها في العمل الأدبي .

قد أثارت هذه الدراسات الكثير من الغموض و الإبهام بالاعتبار ها دراسة جديدة نسبيا، وإذ قلنا بأنها دراسة جديدة هذا لا ينفي أنها وجدت منذ القدم أي منذ بداية الاستعمار، ولإزالة جزء من هذا الإبهام يمكننا تقديم بعض التعريفات لتبيين وتوضيح مصطلح الكولونيالية (الاستعمار).

1- مفهوم الاستعمار لغة:

كلمة استعمار حسب قاموس أكسفورد اللغة الانجليزية مشتقة من كلمة "كولونيال" التي كانت تعنى مزرعة أو مستعمر."[1]

وهناك تعريف مشابه حيث يعد مصطلح الاستعمار لفظة محدثة مشتقة من عَمَر،واستعمره في المكان أي جعله يعمره، و منه قوله تعالى: {هو الذي أنشأكم في الأرض و استعمركم فيها} (هود: 61)." [2]

من خلال التعريف اللغوي نلاحظ أن مصطلح الاستعمار يتجلى معناه في طلب التعمير وسعيه لتحقيق العمران، لكن الواقع لا علاقة له بالمعنى اللغوي.

نجد أيضا تعريف أخر يقارب المعنى السابق و هو "استعمره في المكان:جعله يعمره، وفي القرآن الكريم : {هو الذي أنشأكم في الأرض و استعمركم فيها}.

---

[1]-نقلا عن د.طارق ثابت، مجلة الأمر، هوية الأدب بين الحضور و الغياب في الخطاب النقدي العربي ما بعد الكولونيالية، سنة2014، العدد21، ص104

[2]-أنيا لومبا، نظرية استعمارية وما بعد الاستعمارية الأدبية، دار الحوار، سورية، الطبعة الأولى، سنة2007، ص40

واستعمر الأرض أي أمدها بما يعوزها من الأيدي العاملة."[1]

نجد تعريف قد تناول نفس المعنى السابق فكلاهما يتحدثان عن البناء والعمران، ومن هنا نتطرأ إلى تعريف أخر مشابه لهما حيث نجد "الاستعمار في اللغة العربية محمدة لا مذمة".

كما يقول الباحثون، فهي تدل على الأعمار و البناء و هذا ما دل عليه القرآن الكريم: يقول الله تعالى { هو الذي أنشأكم في الأرض واستعمركم فيها} (هود: 61).

وتناول أيضا معجم" لسان العرب لمصطلح الاستعمار فيما يختص قي كلمة الاستعمار ونوعها ،التي يفترض أنها تحتاج إلى من يعمرها و يسكنها ،حيث جاء تحت مادة (عمر) يقال عمر الله بك منزلك يعمره عمارة و أعمره جعله أهلا فيه ،جعله يعمره وفي التنزيل العزيز{ هو الذي أنشأكم في الأرض واستعمركم فيها}.[2]

واندرج أيضا مصطلح الاستعمار في المعجم اللغة العربية المعاصر "استعمر، يستعمر،استعمارا، فهو مستعمر،والمفعول مستعمر، استعمر الأرض عمرها، أمدها بما تحتاج من الأيدي العاملة لتصلح وتعمر استعمر الصحراء".[3]

وهناك تعريف أخر لا يختلف عن هذا التعريف في المعجم الغني استعمر(ع م ر):فعل سداسي متعديا، استعمر، يستعمر، مصدر استعمار، استعمر الاستعمار الفرنسي البلاد بالسلاح ،دخلها نازيا و أرادها تابعة له لفرض سيادتها عليها،استعمرت الدول الأوروبية في بداية هذا القرن عددا من بلدان أسيا وإفريقيا.[4]

---

[1]- نقلا عن زيد علي الوزير، مجلو المسار، العدد11

[2]- إبن منظور، لسان العرب، دار المعارف، الطبعة3، بيروت، ص278

[3]- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، الطبعة1، سنة 2008، بالقاهرة، ص123

[4]- عبد الغني أبو العزم، معجم الغني، موقع معاجم صخر،14 يونيو2011، ص24

الملاحظ في هذا التعريف أنه خص الذكر للاستعمار الفرنسي و استعمالها للعنف والتحدث أيضا عن الدول الأوروبية.

كما نذكر أيضا المعجم الرائد الذي عرف الاستعمار(استعمر، استعمارا).

-استعمره في المكان :جعله(يعمره)أي يسكنه .

-استعمر البلد،احتله و جعله خاضعا له سياسيا و اقتصاديا، و استعمرت الدول الأوروبية الكبرى إفريقيا ردحا طويلا من الزمان.

-استعمره المكان :أمده بما يعوزه من الأيدي العاملة.[1]

من خلال هذه التعريفات نفهم أنها تصب في نفس المعنى الذي يتجلى في أن الاستعمار هو مصطلح يتضمن في مضمونه على التعمير والبناء ويشمل المكان و على هذا الأساس اتفقت المعاجم حول هذا الأخير.

2- مفهوم الاستعمار اصطلاحا:

الاستعمار هو "مستعمر في بلد جديد مجموعة من الناس يستقرون في موقع جديد و يشكلون جماعة خاضعة لدولتها الأم أو مرتبطة بها وهكذا تتشكل الجماعة وتتألف من المستوطنين الأساسيين وأحفادهم ووارثيهم طالما أن الرابطة مع الدولة الأم مستمر".[2]

يشمل هذا التعريف الدول التي تغير مكانها وتنتقل من مكانها الأصلي إلى مكان أخر ليس لها الحق فيه و هذا عن طريق سياسة الاغتصاب والانتهاك من غير حق،و هكذا تطبق الدول القوية سيطرتها على الدول الضعيفة التي لا تمتلك القوة لدفاع عن حقوقها و أراضيها وممتلكاتها.بإضافة إلى

---

[1]- جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم الملايين، الطبعة1، سنة1982، بيروت، ص56

[2]- أنيا لومبا، نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ص17

هذا التعريف نتطرأ إلى تعريف أخر : احتلها و فرضت سيطرتها عليها ،تحررت معظم الدول من الاستعمار.

"الدول الاستعمارية، الدول التي تحتل غيرها وتفرض سيادتها وسيطرتها عليها،دول مستعمرة ، دولة تفرض سلطتها على دول أخرى و تستغلها ".[1]

كما نجد هناك أيضا تعريف لمصطلح الكولونيالية قد يكون مشابه نوعا ما:"الاستعمار هو الاستيلاء على أراضي الغير و السيطرة على ثرواتها".[2]

جاء هذا التعريف مؤيدا لما تناوله التعريف السابق.

نذكر أيضا تعريف أخر للاستعمار:حيث تمتلك مفردة تاريخية متحولة فقد أصبحت ذات مدلول سياسي يشير إلى عملية ارتبطت بالجيو سياسي لبعض القوى للسيطرة و الهيمنة على مناطق أهله، فالجغرافيا هنا مركزية في تملك هذه الكلمة لمفهومها،فالمكان هو حيز الذي تقع عليه السيطرة والتملك والمصادر، وهي هيمنة على المكان في المقام الأول ،وكل ما هو فوق المكان ،بما يحتويه من مصادر ووجود إنساني".[3]

يحمل هذا التعريف المعنى السياسي للاستعمار،و الطريقة الهمجية الذي يسلكها لسيطرة على الدول الضعيفة ، واعتماده على البعد الجغرافي أي الهيمنة على المكان وامتلاكه بطرق غير سلمية .

-بالإضافة إلى تعريف السابق نضيف تعريف أخر:

"الاستعمار"هو حركة التوسع من جانب الدول القوية لحساب الدول الأخرى، حيث تقوم

---

[1]- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصر، ص16

[2]- محمد ياسين، مصطلحات في نظرية ما بعد الكولونيالية، مجلة قراءات ، 15 يونيو 2016، ص5

[3]- رامي شهاب، الرسيس و المخاتلة، دار الفارس للنشر و التوزيع، الطبعة الأولي، 2013 بيروت، ص49

بالإحتلالها وإخضاعها بالقوة بهدف نهب ثرواتها الطبيعية، وتسخر طاقاتها البشرية في خدمة مصالحها".[1]

نلاحظ في هذا التعريف بأن مصطلح الاستعمار يعنى نهب الثروات والممتلكات سواء كانت طبيعية أو صناعية ،و ضمها إلى ممتلكاتها الشخصية لم تتوقف عند هذا الحد فقط، بل حاول السيطرة أيضا على الطاقات البشرية وجعلتها في نطاق خدمتها.

3- المصطلحات المشتركة في نفس المعنى مع الكولونيالية:

1-الامبريالية : "في معناها الأعم تشير إلى تكوين الإمبراطورية، وهي في حد ذاتها قد كانت ملمحا لكل فترات التاريخ حيث بسطت بعض الأمم سيادتها على واحدة أو العديد من الأمم المجاورة،و هناك اتفاق عام على أن كلمة إمبريالية كسياسة عامة، ومؤيدة بشكل على الامتلاك المستعمرات،من أجل المنفعة السياسية، الإستراتيجية الاقتصادية".[2]

نجد هذا المصطلح يصف السلطة الحاكمة اتجاه المواطنين إمبراطورية، وهي في معناها السياسي تستهدف إلى الاستيلاء بالقوة على الأراضي الشاسعة، وسلب ثرواتها، ومن خلال هذا يتضح المعنى المطابق الكولونيالية.

2-الإنتداب:

"هو نظام سياسي استحدثته عصبة بعد الحرب العالمية الأولى، وقد تبلور مفهوم الانتداب، في نطاق البحث حول مصير المناطق والبلدان، التي انتزعت خلال الحرب،من حكم ألمانيا والإمبراطورية العثمانية، وكان نظام الانتداب بمثابة حل وسط بين مطالب قومية بمنح تلك المناطق الاستقلال

[1]- نقلا عن موقع يكبيديا، "من نحن"، التوسع العثماني، في أسيا الصغرى ونشأة الدولة العثمانية.

[2]- كرمة سامى، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية، الطبعة الأولى، سنة 2010، بالقاهرة، ص205

سياسيا،و بين رفض الدول المنتصرة ،وخاصة بريطانيا وفرنسا، التخلي عن نفوذهما في المناطق التي استولت عليها في تلك الحرب".[1]

نشأ المصطلح" الانتداب "محاولا البحث عن تقرير المصير الدول، التي تعاني من الاستعمار،و محاولة منح الدول القوية الاستقلال،و التخلي عن نفوذها وسيطرتها.

3-المركزية الغربية:

"هي العملية الواعية أو غير الواعية، التي من خلالها تتشكل أوروبا والافتراضات الثقافية الأوروبية بوصفها، أو يفترض أنها المألوف أو الطبيعي أو العالمي كان أول وبما أقوى علامة للمركزية الأوروبية ،كما يشرح "خوسيه راباسا" هو المسقط الخاص الذي استخدم لتصميم أطلس ميركاتو نفسه، وهو مسقط تحيز للمناطق المعتدلة الأوروبية، في توزيع حجم وهي في تجسيد الإيديولوجي وميثولوجي للمساحة، يتيح أراضي العالم للسيطرة والاستغلال".[2]

تناول هذا المصطلح كيفية تشكل أوروبا و الافتراضات الثقافية و الأوروبية، والتوسع الأوروبي على الدول الضعيفة، والاستيلاء على ممتلكاتها وأراضيها وخيراتها.

5-الاستيطان:

"شجعت الدول الاستعمارية رعاياها، على الهجرة إلى البلاء التي تم اكتشافها وترغب في استعمارها، وعملت على استيطانية فيها لاستغلال ثرواتها، كما لجأت في بعض الأحيان إلى قتل السكان الأصليين وتشريدهم، ومصادرة أراضيهم وتوزيعها على المستوطنين ،كما حصل في فلسطين و جنوب إفريقيا".[3]

---

[1]- نقلا عن مجلة عرابيل، صوت إسرائيل، من صندوق البريد،ص84

[2]- كرمة سامى، دراسات ما بعد الكولونيالية،المفاهيم الرئيسية، ص164

[3]- نقلا عن موقع يكبيديا، "من نحن"، التوسع العثماني، في أسيا الصغرى ونشأة الدولة العثمانية.

نفهم من خلال هذا التعريف أن الدول الأوروبية شجعت مواطنيها على الهجرة، بحجة الاستعمار ولجأت إلى القتل والتدمير، وكل أساليب البشعة والهمجية من أجل تحقيق الهدف الذي رسمه و يريد تطبيقه بأي ثمن.

6-الهيمنة :

"هو مفهوم واسع ومشتت ،يختلف الباحث في تحديده و ذلك حسب المنظور والرؤيا التي تؤطر ذلك المنظور، فإذا حاولنا تحديد إجرائي لمفهوم الهيمنة نجد أن العنصر الذي يرتكز عليه هو التسلط والإكراه ،فالهيمنة تعنى فرض ثقافة معينة، من التسلط والإكراه ،فالهيمنة تعنى فرض ثقافة معينة من التسلط على التسلط عليه بشكل ظاهر أو خفي".[1]

هذا المصطلح يعني السيطرة ويشمل جميع أساليب القمع والمنافسة على القوة والسلطة، فهو يدل على العنف و الإجبار أي سلب الشيء دون رضي المالك.

من خلال التعريفات التي تناولناها نجد أن مصطلح الاستعمار "الكولونيالية"، أصبح تسمية لنظرية في الدراسات الثقافية والسياسية والاقتصادية، وأيضا في النقد الأدبي، ومصطلح الخطاب النقدي ،حيث يشير إلى حقل من حقول الدراسة الثقافية، ويشمل هذا المصطلح المستعمرات التي واجهت الاستعمار الأوروبي،بما تركه من أثار مختلفة ، وباعتبارها أنتجت نوعا من الكتابة، حسب الخطاب النقدي المعني بالاستعمار وما بعده.

يمكن القول أن مصطلح الاستعمار ينطلق من نظرية متعارضة، وإن كان ذلك مختلفا في التفاصيل، نجده متطابق في الجوهر.

مصطلح الكولونيالية يستحق التحليل والمناقشة ،لأنه يقودنا إلى قلب الجدل المحيط بالدراسات الكولونيالية (الاستعمار)، والخلفيات والأوضاع الاستعمارية وأثارها على المجتمع وعلى الطبقة المثقفة والأدب أيضا كما تعتبر الكولونيالية من بين المصطلحات الغربية التي أثرت على شريعتنا و ثقافتنا، ولكن قد اندمجنا مع هذا المصطلح وتقبلناه مثل ما قال الأستاذ "محمد بن شاكر

[1]- مختار العربي، مفهوم الهيمنة الثقافية، مجلة الحوار المتمدن،عدد1167، بتاريخ 14أفريل2005

الشرين:"لابد القبول المصطلح بكل شروحه وحواشيه ،و هذا ما يحدث مع مصطلح الكولونيالية ،رغم أن دلالته الأولوية تعنى التخلص من أثار الاستعمار إلا أن شروحه وحواشيه قادتنا إلى النسوية والحديث عن المفاهيم الغربية و الحرية المزعومة للمرأة".[1]

4- تعريف الاستعمار عند الفلاسفة المعاصرين:

1- أنيا لومبا :Anya Lomba

"حيث تعتبر الكولونيالية بمثابة الضرورة لبناء الرأسمالي الأوروبي واستيلاء ونموه وتصف الكولونيالية بكونها مثلت الداية المساعدة و بهذا المعني هي إعادة هيكلة الاقتصادات الغير الرأسمالية و ذلك وفق علاقة السيطرة".[2]

لقد قامت "أنيا لومبا" بالربط بين الكولونيالية و بين مسيرة الصعود الرأسمالي الأوروبي و ذلك من خلال زاوية عدم التوازن الاقتصادي الذي أحدثته الكولونيالية في المستعمرات.

2-ستيفن سليمون :Stephen Salimon

"إن الكولونيالية تعد بوضوح فئة إشكالية إلى حد كبير،إنها بالتعريف متجاوزة للتاريخ وغير محددة وتستخدم فيما يتعلق بالأنواع المختلفة جدا من الاضطهاد التاريخي والسيطرة الاقتصادية و مع ذلك مثل" المصطلح الأبوي" الذي يشترك أيضا في مشكلات مشابهة بخصوص التعريف حيث يظل مفهوم الكولونيالية محوريا لنقد علاقات القوة في الماضي والحاضر في الشؤون العالمية".[3]

نستنتج أن للكولونيالية أهمية في تحديد الشكل المحدد للاستغلال الثقافي والسيطرة الاقتصادية و تعتبر محورا لنقد العلاقات في الماضي و الحاضر.

---

[1]-محمد بن شاكر، مجلة البيان، من خطر المصطلحات الرائد، ص12

[2]- حمود حمود، مجلة الحياة، الحياة و الكولونيالية، ص24

[3]- كرمة سامى، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية،ص241

3-هوسين :sabine hossain felder

ويقول "هوسين" أيضا أن الأمم و القومية أهمية بالغة في تشكيل الممارسة الكولونيالية حيث يعرفها قائلا:" لعل الكولونيالية حيث تتكون من هجرة جزء من امة الأرض أجنبية خالية أو قليلة السكنى بالناس ومهاجرين يحملون معهم كافة حقوق المواطنة في بلدهم الأم... تعد توسعا حقيقيا للقومية".[1]

تبين أن الكولونيالية لم تكون موجودة على الإطلاق إلا من خلال افتراض وجود مقابلة ثنائية ينقسم إليها العالم،انتقال دولة أجنبية قوية إلى دولة ضعيفة ومحاولة إخضاعها للسيطرة والهيمنة، واستمتاع الدولة بكافة حقوق دولة الأم.

4- ماركس : Karl Marx

يعتبر "ماركس" أن الاستعمار هو الطريقة الوحيدة لنقل المجتمع الهندي من البدائية للتطور بسبب سيادة ما سماه بالاستبداد الشرقي الذي يمنع وصول المجتمع إلى المرحلة الليبرالية ،حيث يرى أن بالرغم من الألم و الظلم الناتج عن هذا الاستعمار فإن البقاء في الطور البدائي للمجتمع ينطوي على أشكال أكثر قسوة و ألما من الاستغلال و الاستبداد ".[2]

نلاحظ من خلال تعريف" ماركس "أن للاستعمار لهجة مختلفة واعتباره الطريقة الوحيدة للتطور و الخروج عن الاستبداد بالرغم من الظلم و الألم الذي شكل هذا الاستعمار.

---

[1]-، كرمة سامى، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية، ص286

[2]- أليكسس دو توكفيل، مجلة إضاءات، الكولونيالية بين اليمين و اليسار

5-لينين :pour Adimirlinan

"يرى أن الاستعمار هو محاولة من البرجوازية الغربية لتصدير الأزمة الاقتصادية للخارج وإلقائها على كامل الشعوب المستعمرة، بدلا من مواجهة ثورية بروليتارية حتمية في الداخل".[1]

نلاحظ أن تعريف "لينين" للاستعمار على عكس "ماركس" حيث يرى أن هذا الأخير يشكل تصدير الأزمة الاقتصادية و إلقائها على الشعوب المستعمرة كلها.

6- عامر عبد زيد: Amer Abdul Zaid

"ونجد تعريف أخر "لعامر عبد زيد" الذي عرف الكولونيالية بأنها كلمة عربية مشتقة اشتقاقا كامل من الفرنسية أو الإنجليزية و تعني الاستعمار الاستيطاني الذي يعتمد على تثبيت أسسه بالعديد من وسائل على غرار إنشاء مستوطنات بهدف تثبيت وجوده...و هو رديف الاستعمار الفرنسي...

كما يعتبر أيضا مصطلح الكولونيالية بمفهومه الحديث حسب تعريف القواميس السياسية، قيام دولة أوروبية أو عناصر من هذه الدول، باكتشاف أقاليم شاسعة في لأنحاء العالم و الاستيلاء عليها ليس سياسيا واقتصاديا فقط وإنما تربويا و ثقافيا أيضا.[2]

---

[1]- كرمة سامى، دراسات ما بعد الكولونيالية،المفاهيم الرئيسية ص244

[2]- عامر عبد زيد، نقد التمركز الغربي، مجلة الحوار المتمدن، ص12

نستنتج من خلال هذا المفهوم أن الرؤية "عامر عبد زيد" لمصطلح الكولونيالية ،يتألف من كلمة بالفرنسية أو الانجليزية ،أما بالنسبة لمفهومه الحديث يتمثل في اكتشاف أقاليم عبر أنحاء العالم ،و استيلاء عليها بمختلف الأشكال.

7-الشهابي و حبنكة: Chemical Muhannad Shihabi et Abdul Rahman Hassan Hpennekh

" يعرف الشهابي و حبنكة الاستعمار موافقين لما جاء في المعجم الوسيط بأنه استيلاء دولة أو شعب على دولة أخرى وشعب آخر لنهب ثرواته وتسخير طاقات أفراده والعمل على استثمار مرافقه المختلفة".[1]

8-أليكس دوتوكفيل: Alex Dotokvel

"لقد شهد مصطلح الكولونيالية مؤيدين للاستعمار الفرنسي في الجزائر من بينهم "أليكسس دوتوكفيل" حين قال: "نحن نقاتل الآن بوحشية أكثر من العرب أنفسهم بإمكان المرء أن يلتقي الحضارة

[1]- عبد الرحمن حبنكة، المعجم الوسيط،(627/2)، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عدد2452، طبعة8، ص51

على جانبهم لا على جانبنا ".لكن على الرغم من ذلك الكتب "توكفيل"خطابات و مقالات عديدة بحث فيها على استعمار الجزائر من باب النفعية البراجماتية البحتة التي تخلو حتى من القيمة الشكلية".[1]

وهذا التعريف يشمل أنواع مختلفة من الاستعمار لا تختلف عن بعضها إلا بالأسماء ومن الأشكال الاستعمار، أن تضع دولة ما أخرى تحت حمايتها وإشرافها وتسلبها من حريتها.

يعتبر "أليكسس"من مؤيدين الاستعمار الفرنسي في الجزائر

"تحت مضلة التنوير انقسم المفكرون و الفلاسفة الأوروبيون إلى مدرستين ،أولهما هي المدرسة الليبرالية التي تولى زمامها الفلاسفة الاسكتلنديون والبريطانيون ،أقامت هذه المدرسة دعمها إلى الكولونيالية على عمودين أساسيين هما نظرية كونية العقلانية الإنسانية والتطور الحتمي".[2]

نلاحظ من خلال هذا الأخير انقسام المفكرون و الفلاسفة الأوروبيون إلى مدرستين تدعم فيها الكولونيالية بأشكال مختلفة .

ومن هنا إن تأييد "جون ستيوارت" يختلف عن "أليكسس دوتوكفيل"فإن لميل أربعة مأخذ على الاستعمار الغربي "الأول"أن الحكومات الأجنبية لا تمتلك المعرفة و الدراية أللأزمة بالمجتمعات المحلية التي تؤهلها لحل المشاكل المحلية بكفاءة "ثانيا"نظر للاختلافات الثقافية و اللغوية و الدينية بين المستعمرين والمستعمرين فليس من المرجح أن يتعاطف المستعمرين مع السكان المحلين ،و هو ما

[1]- أليكسس دوتوكفيل، مجلة إضاءات، الكولونيالية بين اليمن و اليسار

[2]- نفس المرجع

سيدفعهم للاستبداد ،"ثالثا"حتى لو حاول المستعمرين التعاطف مع السكان المحليين فإن ميلهم الطبيعي للوقوف في صف المتفقين معهم ثقافيا ودينيا ولغويا ستدفعهم للتحيز غير العادل في الحالات الصدام "رابعا"الحكومات الاستعمارية و التجار يتوجهون لدول المستعمرة بغرض الربح، لذا فمن المرجح أنهم سيقومون بنهب وتخريب هذه الدولة بدلا من نشر رسالة الحضارة فيها".[1]

من خلال هذا التأييد أن مفهوم الكولونيالية، لم يكن ليفقد مناصريه و مدافعيه باسم الحضارة لولا ظهور تيار داخلي معارض ولدته"الكولونيالية "نفسها،فساهم بدوره في تفكيكها و نزع الغطاء الرسالي عن المشروع الاستعماري الغربي.

كما يعد البعض" ادوارد سعيد" رائد الحقل حيث تمكن بمفرده من افتتاح حقلا من البحث الأكاديمي ومن الممكن اعتبار هذين المفكرين"الفرنسي فوكو، والايطالي أنطونيو غراميشي" ممن وضعوا أسس البحث في الخطاب الاستعماري في بريطانيا العصر الفيكتوري و نقلت إلى الكولونيالية في كل من أمريكا و أستراليا ملمحا في النصوص الانجليزية.[2]

5- التعريفات العامة للاستعمار:

"يعتبر الاستعمار ظاهرة حديثة قد أثرت على تاريخ وعلى الأمم وهذا لارتباطها بالحضارة الغربية والتي طبقت همجياتها وزرعت ثقافتها على الشعوب الضعيفة ولم تنتهي عند هذا فقط، بل انتهكت أراضيها وسلبت حريتهم واستولت على أموالهم لتصبح هي في أخر المطاف الدولة القوية

[1]- أليكسس دوتوكفيل، مجلة إضاءات، الكولونيالية بين اليمن و اليسار

[2]- محمد بن شاكري، مجلة البيان، من خطر المصطلحات الرائدة، ص12

التي تسخر من عجز تلك الشعوب التي لا تستطيع أن تقف في وجه العدو الغاصب، حيث تجد لقسوة هذه الدول في الوجود ، حيث ينطلق الاستعمار من مكان غير أهل يحتاج للوجود ليكون مكانا قابلا للحياة، كونه منتقصا للعنصر الإنسانين و المفردة في أحد جوانبها تمتلك الصيغة الدينية التي تتمثل بإعطاء الإذن أو السلطة للعمل على إعصار المكان غير الأهل ، وهذا بتحديد ما يجعل مفهوم الاستعمار من منطلق لغوي متطابقا مع المفهوم الاصطلاحي ، فيعتبر الفعل الكولونيالي سمة منتشرة ومتكررة في التاريخ الإنساني كما لدى الإمبراطورية الرومانية والمغول، وحضرة الأزتك والفتح الإسلامي والإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية الصينية ومع ذلك، فإن كل ما سبق لم يشهد ممارسات استعمارية كالتي قادها الأوروبي".[1]

وما نجده في هذا التعريف أن ارتباط مصطلح الاستعمار بالحضارة الغربية التي قامت بسلب الشعوب حريتهم و أراضيهم، واستيلاء على أموالهم، من أجل أن تمتلك القوة والسلطة العالية، كما شهد الفعل الكولونيالي سمة مبعثرة في التاريخ الإنساني .

الاستعمار :

"هي التوسع الإمبريالي لأوروبا في باقي أنحاء العالم أثناء الأربع مائة سنة أخيرة ،و خلاله كان للمركز المهيمن علاقة سيطرة و نفوذ على الهامش أو على المستعمرات، هذه العلاقة نزعت للامتداد إلى التعاملات الاجتماعية والتعليمية والاقتصادية والسياسية والحضارية بشكل عام عادة مع تشكيل طبقة المستوطنين، لطبقات تقع بين الأمة الأوروبية "الأم" و مختلف الشعوب الأصلية التي تسيطر

[1]– أنيا لومبا، نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ص10

عليها الدولة الأم نظام كهذا يحمل في طياته مفاهيم مرتبطة بالدونية العنصرية و تكوين تصورات عجائبية عن الأخر".[1]

يتجلى في هذا المفهوم أن الاستعمار شهد توسع في إمبريالية الأوروبية و باقي دول العالم و سيطرة دولة" الأم"على مختلف الشعوب الأصلية.

"إن مصطلح الكولونيالية قد يستعمل مكان مصطلح الاستعمار و يستعمل أيضا مكان الامبريالية فكلمة استعمار كولونيالي حسب قاموس أكسفورد اللغة الانجليزية مشتقة من كلمة "كولونيال" التي كانت تعنى مزرعة أو مستعمرة وأشارت إلى الرومانيين الذين استقروا في أراضي أخرى إلا أنهم احتفظوا بجنسيتهم".[2] .

"يندرج مصطلح الاستعمار إلى حقل من التحليل ليس جديدا بحد ذاته، ولكن معامله النظرية والمنهجية لم تتضح في الغرب إلا مؤخرا مع تكثف الاهتمام و ازدياد الدراسات حوله فهو يشير إلى تحليل ما بلورته الثقافة الغربية في مختلف المجلات من نتاج يعبر عن توجهات استعمارية إزاء مناطق العالم الواقعة خارج نطاق الغرب على أساس أن ذلك الإنتاج يشكل في مجمله خطابا متداخلا بالمعني الذي استعمله فوكو لمصطلح".[3]

---

[1]– كرمة سامى، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية، ص106

[2]– عز الدين ميرغني، صحيفة الألوان، النقد الكولونيالي، سنة2015

[3]– ميجان الرويلي، د.سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ص158

يمكن القول أن الخطاب الاستعماري ينطلق من نظر متعارضة، فيما يتصل بقراءة التاريخ،حتى لو كان مختلفا في تفاصيله لا في جوهره، فهو يقوم بالتحليل الثقافة الغربية في جميع الميادين.

إضافة إلى ذلك نجد أن الدراسات الكولونيالية، ظهرت في السنوات الأخيرة من قرن الواحد والعشرين الذي تأسست من خلال أقسام الدراسات الكولونيالية وما بعدها في الجامعات الغربية أولا وفي معظم جامعات العالم الثالث، وخاصة في أسيا وأستراليا وفي جنوب إفريقيا ثانيا،لدراسات أثار الاستعمار، على المجتمعات المستعمرة والمستعمرة معا، ما عدا في فرنسا التي ترفض لحد الآن أن تعترف سياسيا وأكاديميا ،بالحقبة الاستعمارية لفعل هدام ومعاد الأعراف، الأخلاقية والوازع الإنساني المتحضر، ومما يؤسف له أن الجامعات لم تبادر إلى إنشاء مثل هذه الأقسام إلى يومنا هذا، علما أنها معينة بذلك تاريخيا، حيث أنها عانت من ظاهرة الاستعمار الكلاسيكي، وتعاني راهنا من مختلف الأشكال الاستعمارية الجديدة، أن هذا الحقل المعرفي ضرورة جدا من الناحية الأكاديمية، والتاريخية لنزع خدمات الاستعمار الثقافي والنفسي والمعرفي والاقتصادي، في منظومة التعليم العالي.[1]

لقد ظهرت عدة دراسات كولونيالية في مختلف الجامعات من بينها الدول الغربية وجنوب إفريقيا وكذلك في فرنسا لكنها لم تعترف بها، كما أنها عانت ظاهرة الإستعمارية بمختلف الأشكال و بمختلف الدول.

[1]– د. رامي أبو شهاب، مجلة الحوار المتمدن، خطاب ما بعد الكولونيالية، المصطلح والمفهوم، سنة2014

6- التوسع الكولونيالي:

"كما يظهر نطاق وتوسع المستوطنات الكولونيالية المتولدة عن توسع المجتمع الأوروبي بعد عصر النهضة الأوروبية بسبب اعتبار مصطلح الكولونيالية شكلا مميز الإديولوجيا الامبريالية الأعم، وعلى الرغم من أن الصيغة إلى طرحها سعيد ادوارد،حيث يخصص للامبريالية القوة الإيديولوجية بينما الكولونيالية للممارسة، تعد علامة فارقة فعالة بوجه عام فقد أصبحت الكولونيالية الأوروبية في عالم ما بعد النهضة الأوروبية صيغة للتوسع الامبريالي".[1]

"إن حقيقة التاريخية الخاصة يكون التوسع الكولونيالي الأوروبي بعد عصر النهضة الأوروبية متلازما مع نمو النظام الرأسمالي الحديث لتبادل الاقتصادي ،تعني أن إدراك المستعمرات بوصفها كيانات تأسست بشكل رئيس لإمداد اقتصاديات القوى الكولونيالية البازغة السريعة النمو بالمواد الخام".[2]

"لقد خص هذا التوسع الكولونيالي الشعوب التي تمتلك أدني منزلة، وطبق عليها إيديولوجياته السياسية والحضارية والثقافية، ومثل هذه المواقف أصبحت فكرة العالم الكولونيالي تتمحور حول سعي أدنى منزلة بحيلة، ولا يقف خارج الدائرة التاريخ والحضارة وحسب، وإنما قدر له سلفا في أصل

---

[1]- كرمة سامى، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية، ص241

[2]- نفس المرجع، ص106

تكوينه الجيني أن يكون أدنى منزلة، وهكذا فإن استبعادهم لم يكن مجرد مسألة جلب منفعة أو الخدمة الشخصية، وإنما أمكن ألقي صوغ هذا الاستبعاد بحالة فطرية".[1]

ارتبط البحث الكولونيالي بحركة التوسع الأوروبي الذي إنطلق منذ أواخر القرن 15، وفي هذا االإطار جاء الاهتمام بالبلدان المطلة على البحر المتوسطي من أجل السيطرة عليها، وقد تحركت ثلاث عزائم لهذا الغرض حسب إبراهيم بوطالب وهس الغزو الاكتساح والبحث في أحوال المجتمع.

تكوينه الجيني أن يكون أدنى منزلة، وهكذا فإن استبعادهم لم يكن مجرد مسألة جلب منفعة أو الخدمة الشخصية، وإنما أمكن ألقي صوغ هذا الاستبعاد بحالة فطرية".[2]

تحول البحث التاريخي في عهد الاستعمار إلى قطاع وظيفي سخرت له جميع الأدوات والطاقات للتمهيد للإستعمار، حيث عمل الحركة الاستعمارية كل الوسائل الوحشية على الشعب الجزائري ومن بينها عنصر الاستعباد.

---

[1]- كرمة سامى، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية ، ص107

[2]- نفس المرجع، ص107

7- نشأة الكولونيالية:

"يعد المؤرخين بداية الكولونيالية الحديثة، إلى أوائل القرن الخامس عشر، حيث أقام البرتغال أول مستعمرة لها خارج القارة الأوروبية في سنة 1415، وتلقت ظاهرة الكولونيالية دفعة قوية، في أواخر هذا القرن بعد افتتاح الطريق البحري، يمر حول جنوب القارة الإفريقية ثم عقب اكتشاف القارة الأمريكية ،حيث استولت إسبانيا و البرتغال على المناطق شاسعة من القارة الجديدة،و حولتها إلى المستعمرات لها، وفي الوقت ذاته أكسبت هاتان الدولتان مستعمرات لها وفي القارة الإفريقية، وفي القرن السابع عشر انضمت هولندا إلى الدولة الكولونيالية ،ذروتها خلال القرن التاسع عشر، عندما استولت الدولة الأوروبية المختلفة، وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا على جميع المناطق الإفريقية تقريبا،وعلى الأقاليم الأخرى في أنحاء العالم وفي أواخر ذلك القرن وخلال أوائل القرن العشرين، انضمت دولة أخرى إلى السياق الكولونيالي، وهي الولايات المتحدة الأمريكية وبلجيكا وألمانيا وإيطاليا واليابان، وقد أل الحكم الكولونيالي إلى نهايته في الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية حيث تعززت تيار التحرر القومي، ومنحت الدول الغربية الاستقلال لمستعمراتها و كانت الولايات المتحدة هي البادئة في تحرير المستعمرات من السيطرة الأجنبية ومنحت الفلبين استقلالها عام1946، ونهجت معظم الدول الأوروبية النهج ذاته إما طوعا أو رغما عنها".[1]

[1]- موقع الانترنت

"تبين أن الكولونيالية لم تكن موجودة على الإطلاق،إلى من خلال افتراض وجود مقابلة ثنائية ينقسم إليها العالم ،و قد أعتمد التأسيس المتدرج للإمبراطورية على العلاقة الهرمية الثابتة بوجود المستعمر بوصفه الأخر بالنسبة للثقافة المستعمر".[1]

"ارتبطت الظاهرة الكولونيالية في تاريخ الحديث بتراكمات النهضة الأوروبية،و عصر الأنوار ،و الثورات العلمية التي أسست لمركزية أوروبية تصدر عن قوتها العلمية و النقدية و العسكرية أصناف من الممارسات تحاول كل دولة داخل المركزي أي تبني كيانها و مجدها في ظل سيرورة الصراع خاص فيما بينها".[2]

8- أشكال الكولونيالية:

"لقد اختلفت أشكال الكولونيالية وتعددت أساليبها من خلال طغيان الاستعمار الغربي على دولنا العربية كما اختلفت أيضا تصرفاتها من أديب إلى أخر ومن معجم إلى أخر.الاستغلال الثقافي الذي يتنامى بالتزامن مع التوسع الأوروبي خلال القرون الأربعة الفائتة ، وعلى رغم من أن هذه الحضارات كانت تنظر إلى علاقاتها بتلك المستعمرات بوصفها علاقة قوة عظمى مركزية بالحدود الخارجية لثقافات محلية و غير متدمنة ،فقد تداخل عدد من العوامل الحاسمة في بنية ممارسات الامبريالية فيما بعد العصر النهضة الأوروبية".[3]

"كما يظهر نطاق وتوسع المستوطنات الكولونيالية المتولدة عن توسع المجتمع الأوربي بعد عصر النهضة الأوروبية بسبب اعتبار مصطلح الكولونيالية شكلا مميز الإديولوجيا الامبريالية الأعم، وعلى

---

[1]- كرمة سامى، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية، ص93

[2]- موقع الانترنت، الكولونيالية وإستراتيجية التجاوز في تجربة واسيني الأعرج، ص13

[3]-أنور الجندي، الاستعمار و الإسلام، دار الأنصار، المطبعة الفنية بالقاهرة، ص20

الرغم من أن الصيغة إلى طرحها سعيد ادوارد، حيث يخصص للامبريالية القوة الإيديولوجية بينما الكولونيالية للممارسة تعد علامة فارقة فعالة بوجه عام فقد أصبحت الكولونيالية الأوروبية في عالم ما بعد النهضة الأوروبية صيغة للتوسع الامبريالي".[1]

"فالاستعمار الغربي كان دائما يبحث عن الروابط القوية لتثبيت هويته بدقة حيث منذ ذلك اليوم اعتمد على الارتباط بقوتين أساسيتين فيها التبشير والإستشراق وكان الهدف هو دعم الوجود الاستعماري بخلف عقلية موالية للغرب منحرفة عن أصالة الإسلام الذي يعطيها دائما القدرة على المقاومة والجهاد والمواجهة ، وقد عملت هذه القوى الفكرية على السيطرة التعليم والثقافة والصحافة من أجل تزييف المفهوم الإسلامي وتخليصه وحجب أبعاد الحقيقية".[2]

"وكانت حركة الإستشراق هي المصنع الذي يعد أدوات العمل والشبهات والطعون والشكوك والاتهامات التي يقدمها العلماء الذين يعاملون تابعين لوزارات الاستعمار في الدول الغربية ويقدمونها إلى حقل التبشير لنشرها والإذاعة لها ولما كشفت مخططات التبشير تخفى التبشير وراء التعليم والصحافة والثقافة وان كان لا يزال ظاهرا ومنجز كأعلى جهات كثيرة من العالم الإسلامي وخاصة في قلب إفريقيا وأرخبيل الملايو وقد كشف التبشير عن هدفه الذي لم يكن أساسا وتحويل المسلمين إلى أديان أخرى بعد أن تأكدت استحالة ذلك للدعاة الذين اقتحموا لأزهر وزرعوا نشراتهم بداخله ولكن الهدف هو إخراج المسلمين من قيم دينهم ومفاهيم أساسا وبذالك يصبحون عجينة طلعة لتشكل وفق مفاهيمهم وحركة التبشير حركة الاستعمارية تهدف إلى خدمة النفوذ الأجنبي ولم يتوقف

---

[1]- أنور الجندي، الاستعمار و الإسلام، ص21

[2]- أزراج عمر، مجلة الجديد، سنة2016، العدد22، ص16

المخطط الاستعماري عن الغزو الفكري و الثقافي عن طريق حركة التبشير والإستشراق بل أنه دفع القوى أخرى خطيرة لتكون ركيزة له في قلب الوطن الإسلامي وهي الحركة الماسونية".[1]

"تبدوا مقاربة"ادوارد سعيد"في ربط العلاقات الكولونيالية بمرجعيتها الإستشراقية أفقا للتسلط،قائمة في ذات الوقت و مستشرقة للمستقبل ،الاحتواء و استمرارية المد الليبرالي إنها سلسلة كاملة من المصالح التي لا تقوم – الكولونيالية – بخلقها فقط،بل بالمحافظة عليها أيضا بوسائل اكتشاف البحثي، والتحليل النفسي والاجتماعي إلى مشروع كولونيا لي تابع للذات المركزية الأوروبية ،و النظر إليها بمرآة الأنا السلطة وسلطة الأنا،أدي إلى طرح مسألة الهوية لاحقا،و إعادة النظر في إشكاليتها، خاصة مع جيل الثورة الطلاب سنة 1968".[2]

"وهناك أساليب أخرى كالتمييز العرقي تمول إلى أداة لتحقيق السيطرة الكولونيالية توضح" لومبا" العديد من الاستراتيجيات والتوجيهات التي تمثل الخطاب الكولونيالي و تشرح آلياته ووجوده، فالاستعمار شديد الارتباط بالبعد الاقتصادي لأوروبا، وفي سبيل دعم هذا الهدف،لجأت إلى تفعيل الأداة المادية العسكرية بدورها خطاب متشعب يهدف إلى تبرير هذا الفعل".[3]

---

[1]– أنور الجندى، الاستعمار والإسلام، ص23

[2]– بسمة عروس، الكولونيالية وإستراتيجية التجاوز في تجربة واسيني الأعرج، 10أفريل2012، ص49

[3]– رامي أبو شهاب، الرسيس و المخاتلة، ص77

"يعتمد سلب الاقتصادي وإنتاج المعرفة واستراتيجيات التمثيل على بعضها البعض في أي سياق استعماري.و كانت طرقا معينة في الرؤية وتمثيل الاختلاف العراقي والثقافي والاجتماعي أساسية لبناء مؤسسات السيطرة الاستعمارية".[1]

"كما تقوم النزعة الكولونيالية، وخطابها الجنسي على منطقين للاستقصاء،كما قدم أفرن الشك، وهما التركيز على النساء الأصلانيات، وتأنيث المستعمرات، وغالبا ما يتم هذا عبر النصوص التي تتيح نسقا محددا من التقديم، غذ يتم إظهار وإبراز الوضع الإيروتيكي القائم على العرق، ولون البشرة ،لتبرير الفعل الكولونيالي، بهدف إفراغ المحتوى الإنساني والأخلاقي للأخر،اعتمادا على عرقه، ونزعته الجنسية البدائية".[2]

الاستعمار الغربي كان دائما يبحث عن الروابط القوية لتثبيت هويته بدقة حيث اعتمد منذ اليوم علي الارتباط بقوتين أساسيتين هما:التبشير و الاستشراق.

التبشير لغة: هو لفظة مشتقة من بشر بمعنى الفرح و التهلل،و منه البشارة وهي الخبر السار الذي يحمله المخبر ،و البشرة هي ما يبشر به أو يعكاه المبشر

اصطلاحا: فهو يطلق على دعوة النصارى الآخرين إلى النصرانية.

---

[1]- رامي أبو شهاب، الرسيس و المخاتلة ، ص78

[2]- نفس المرجع، ص80

-التبشير و الاستعمار هما وجهان لعملة واحدة، فالمبشرون هما الدينية للمستعمر،و الاستعمار هو الحقيقة الاقتصادية والسياسية.[1]

الاستشراق: فهو الطريقة للوصول إلى التلائم مع الشرق مبنية على منزلة الشرق الخاصة في التجربة الأوروبية الغربية ،فالشرق ليس لصيق بأوربا وحسب بل إنه كذلك موضح أعظم مستعمرات أوروبا،و أغناها و أقدمها و مدار حضارتها و لغاتها.[2]

"لقد شهد الاستعمار أشكال مختلفة فمن بين هذه الأشكال أن تضع دولة ما أخرى تحت حمايتها وإشرافها وتسلبها من حريتها بقدر ما يتناسب مع قوة هذه الدولة وضعف تلك، وفي الأغلب يكون للدولة المحمية شبه سيادة داخلية يمارسها حكام وطنيون تديرهم الدولة المستعمرة من خلف ستار.

ومن أمثلة هذا الشكل للاستعمار ما فعلته فرنسا في تونس حيث وقعتا معا معاهدة حماية في 1881/5/12م، ثم جددت في 1883/6/8م، وبموجب بنود هذه الحماية فقدت تونس سيادتها الخارجية وحقها في التمثيل الدبلوماسي المستقل، كما سلبت حق إبرام المعاهدات الخارجية، وعينت فرنسا آلاف الموظفين يرعون مصالحها يرأسهم المقيم العام.

---

[1] -مديحة عتيق، ما بعد الكولونيالية، جامعة محمد الشريف مساعدية، سوق أطراق

[2] -نفس المرجع

وما حصل في تونس كررته فرنسا في مراكش بموجب معاهدة 1912/3/30م وفعله الإنجليز في مصر خلال احتلالهم لها بين عام 1914 - 1922م".[1]

إن الاستعمار مهما تعددت أساليبه و أشكاله فهو حركة توسع من جانب الدول القوية على حساب دول أخرى ،تقوم باحتلالها و إخضاعها بالقوة،بهدف نهب ثرواتها الطبيعية ، وتسخير طاقاتها البشرية في خدمة مصالحها.

"لقد شهد الاستعمار ثلاثة أشكال منها الاستيطان كما في أستراليا وكندا، والاستعمار غير الاستيطاني منه الهند ونيجيريا وسير لانكا وغيرها، وهناك المستعمرات التي تم استيطانها بواسطة المهاجرين الأوروبيين وكانت مؤهلة بالسكان ومنها جنوب إفريقيا وزيمبابوي، غير أن هذه التقسيمات افتراض أن مناطق جغرافية تخلو من السكان كالأميركيتين واستراليا وهي تختلف عن إفريقيا التي تعتبر مؤهلة قبل قدوم الاستعمار".[2]

ومن هنا نلاحظ تجاهلا للسكان لأميركيتين و استراليا و لعل الاستعمار الاستيطاني يتجلى حاليا أبشع أشكاله كما في فلسطين.

"عند إلقاء نظرة على الخريطة اللغوية للعالم، نجد أن لغة المستعمر تحل مكان اللغة المحلية في اللاتينية ،تستخدم اللغة الاسبانية لغة البلدان المستعمرة ،فأغلب المستعمرات الاسبانية في أمريكا الرسمية، وتعد الانجليزية اللغة الرسمية لعدد من المستعمرات البريطانية مثل هند ونيجيريا وجنوب إفريقيا

[1]- مصطفى الشهابي، محاضرات في الاستعمار، ص15

[2]- رامي أبو شهاب، مجلة الحوار المتمدن، خطاب ما بعد الكولونيالية، المصطلح والمفهوم

،كما تعد الفرنسية اللغة الرسمية في المستعمرات الغربية مثل تشاد ومالي السينغال، وتعد اللغة البرتغالية لغة المزنبيق الرسمية بوصفها مستعمرة وبرتغالية سابقة ... فإن طبقنا ذلك على اللغة الثانية في عدد من الدول ،فسنجد أنها لغة المستعمر، كما هو الحال المغرب العربي وهو أمر ينسجم مع الانجليزية في العراق ومصر والأردن والفرنسية في الدول ما قاله العالم تريتشكا من أن اللغة هي أساس التجارة المزدهرة ،إذ إن الأمة لا تفقد مستعمراتها المرتبطة بها باللغة والثقافة وحتى لو انقطعت الرابطة السياسية".[1]

9- أثار الاستعمار:

"للاستعمار آثارٌ سلبية وأخرى إيجابية على كلٍّ من المستعمَرات والدول المستعْمرَة على حدٍّ سواءً, فقد حقق المستعمرون شيئًا من التنمية الاقتصادية للمستعمرات فأدخلوا إليها طرق الزراعة والصناعة والعلوم الطبيَّة الغربية, وفي الوقت نفسه قامت القوى الاستعمارية باستغلال مستعمراتها واستفادت منها اقتصاد وفي عدد من المستعمرات، قامت القوى الحاكمة بتعطيل الهياكل الاقتصادية التقليدية و تغييرها, فقد ألزموا المستعمرات بإنتاج المواد الخام وشراء معظم السلع المصنَّعة من الدول الحاكمة, وبهذه الطريقة، حطَّم المستعمِرون الأنشطة التجارية والصناعية في المستعمرات. ومع أن هناك نواحي إيجابيةً لربط المستعمرات بالنظام الاقتصادي الدولي، فإن شعوب تلك المستعمَرات فقدت القدرة على التحكم في مقدَّراتها الاقتصادية, وبالإضافة إلى ذلك، قاد ارتفاع مستويات

[1]- صلاح حمودي، منتدى المصطبة، في قسم الأبحاث العلمية والثقافية، ص3

المعيشة والاستقرار السياسي إلى زيادة كبيرة في عدد السكان، الأمر الذي أدى إلى توقف التحسن في مستوى المعيشة وربما ساعد على تقهقره".[1]

"وقام النظام الاستعماريُّ بزيادة رقعة السيطرة السياسية للدول الأوروبية، ولكنه أدى في الوقت نفسه إلى تقليص عدد من الحروب المحلية ووحَّد تلك المناطق تحت مظلة دولة واحدة. وأقامت القوى الحاكمة عددًا من المدارس الحديثة، وأدخلت النظام الديمقراطيّ في الحكم. ولكن، في العديد من الحالات، لم يمنح المستعمرون الشعوب التي استعمروها إلا قدرًا ضئيلاً من التدريب والإعداد من أجل الاستقلال، كما حاول عددٌ من الحكام فرض ثقافتهم على الشعوب المستعمَرة, ويعتقد بعض المؤرخين أنَّ الثقافة الغربية قد أفادت الشعوب المستعمَرة بطرق شتَّى، لكن عددًا من الدول التي كانت مُستعمَرةً حاولت، بعد الاستقلال، إعادة إحياء ثقافتها وهويتها".[2]

ولقد أثرى النظام الاستعماري الدول الحاكمة، ولكنه ساعد أيضًا في ظهور الحركات القومية وظهور الشعور الوطني بين الشعوب المستعمَرة, وبذلك، كتب الاستعمار نهايته بنفسه.

"وكان من النتائج غير المتوقعة لنهاية الاستعمار أن ظهرت حركات الهجرة لعدد كبير من سكان المستعمرات إلى البلدان التي كانت تَستعمرها. كما أنَّ أعدادًا كبيرةً من الهنود والباكستانيين ومواطني جزر الهند الغربية وجدوا طريقهم إلى بريطانيا, وهاجرت أعداد كبيرة من إندونيسيا وسُورِينَام إلى هولندا. وهناك أعدادٌ من المهاجرين من شمالي إفريقيا تعيش في فرنسا. ومن ناحية أخرى، أسهمت هذه الهجرات في خلق تباين عرقي وثقافي في البلدان الأوروبية التي كانت يومًا ما ذات طابع عرقي واحد".[3]

---

[1] – خالد قاسم، مجلة إبتسامة، تقرير عن الاستعمار، العدد4، ص11

[2] – نفس المرجع، ص12

[3] – محمد بن شكري، من خطر المصطلحات الرائدة، ص18

الفصل الأول

1- مفهوم الكولونيالية

2- الخطاب الكولونيالي وتأثيره على الدول المستعمرة

3- تأثر الأدب بالكولونيالية

4- الكولونيالية وعلاقتها باللغة

1-مفهوم الكولونيالية:

"يعد مصطلح الكولونيالية ذا أهمية في تحديد الشكل المحدد للاستقلال الثقافي الذي تنامي بالتزامن مع التوسع الأوروبي خلال القرون الأربعة الفائتة، وعلى الرغم من أن العديد من الحضارات كانت تنظر إلى علاقاتها بتلك المستعمرات بوصفها علاقة قوة متمدنة، فقد تداخل عدد من العوامل الحاسمة في بنية ممارسات إمبريالية".[1]

نفهم من خلال هذا أن التوسع الأوروبي على حساب البلدان العربية كان له أثر على الثقافة والسياسة والاقتصاد، فالبلدان الأوروبية كانت هي البلدان القوية والعظمى وذات السلطة الأولى أما المجتمعات العربية كانت ضعيفة وبسيطة.

"الكولونيالية (colonialism) هي ممارسة يتم من خلالها اكتساب السيطرة على بلد أخر باحتلالها عبر المستعمرين أو المستوطنين واستقلالها اقتصاديا.

بينما يعرف كلمة (colonization) بأنها عملية تأسيس مستعمرة من خلال الاستيلاء على مكان أخر".[2]

يبدو لنا من هذه التعريفات أن الكولونيالية لها علاقة تواصل مع المعطيات القائمة على عنصري المكان والفعل الاقتصادي المتعاضد مع الممارس، وهذا يعني أن الدول الأوروبية هدفها الأول الاقتصاد، فالإنسان إذا أصابه الفقر قد يركع إلى العدو.

---

[1]-كرمة سامى، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية،ص106

[2]-رامي أبو الشهاب ،الرسيس و المخاتلة،ص48

نفهم من خلال هذا أن "المصطلح الكولونيالي مرتبط بالدول الأوروبية التي تعتبر قوية لأنها تملك كل المؤهلات لفرض قواتها على الدول الضعيفة، وهذه القوة تكمن في الثروات والتقنيات و التطورات العلمية التي تجعلها قادرة على الاستعمار، فالكولونياليين دائما يصنعون أنفسهم في الدرجة العالية والمرتبة الأولى وهي المرتبة القوة والسلطة وبهذا حقق الكولونيالي هدفه وطموحه، فإذا اعتمدنا على الكولونيالي لكل من صفة والاسم الدال على شخص يناصر السياسة الكولونيالية، بينما استخدمنا المستعمر الأمم الدال على الشخص المستوطن في المستعمرة، أو أحد المؤسسيين للمستعمر وقرن بين كلمة استخدم الكولونيالية الأولى والاستعمار للثانية".[1]

من خلال هذا نلاحظ الفرق الموجود بين شخص يناصر السياسة الكولونيالية من بعيد وبين شخص يحضر بنفسه للكولونيالية، ومن هنا تبقى الكولونيالية ذلك المصطلح الذي يحمل العنف والسلطة والقوة واستيلاء القوى على الضعيف، فمصطلح الكولونيالية يشمل عدة معاني وكلها تصب في مفهوم واحد، فهي استعمار القوى على الضعيف وتهب حرية المستعمر وثرواته وانتهاك حقوقه وإلغاء وجوده وتدمير أبنائه وعادات وتقاليده، حيث تمارس الدول الأجنبية القمع والإضطهاد والتشكيل.

[1]- كرمة سامى، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية،ص106

2- تأثير الأدب الكولونيالي بالخطاب:

- الخطـاب:

"مص.خاطب، ما يكلم به الانسان صاحبه. رسالة. ((فصل الخطاب)): الفصاحة. ((فصل الخطاب)): الذي ليس فيه إسهاب أو اختصار. ((فصل الخطاب)): أن يقول الخطيب بعد الحمدلة((أما بعد)). ((فصل الخطاب)): الخطاب الفاصل بين الحق والباطل. ((فصل الخطاب)): الحكم بالبينة والبرهان، أو اليمين. ((خطاب الاعتماد)) في لغة المصارف: رسالة يطلب فيها المصرف إلى مراسليه في الخراج أن يدفعوا لحاملها مبلغا معينا من المال.".[1]

_الخطاب لغة :

"هو مصدر للفعل (يخاطب و خاطب) وقد جاء من كلمة الخطب أي الأمر والشأن والخطاب هو سبب الشئ، ويقال للمرئ ما خطبك ؟ أي ما شأنك، ونصف بعض الحوادث والأمور فنقول :خطب عظيم أو جليل.

_الخطاب اصطلاحا:

هو مواجهة الآخرين بكلام قد يكون على شكل رسالة أو محاضرة،أو تسجيل أو نص معين ويتعدى الكلام إلى رموز و تتنوع أشكاله فمنه اللفظي الذي يستخدم اللغة كأداة له،و غير اللفظي الذي يستخدم العلامات و الإشارات والإيحاءات، و يأتي هذا المصطلح مرادفا لكلمات كثيرة

[1]- جبران مسعود، المعجم اللغوي الأحداث والأسهل، الرائد، دار العلم للملايين، طبعة9، 2012، بيروت

كالكلام واللغة والرسالة والحديث والأطروحة والنص والقول والسرد ويعرفه البعض على أنه رسالة يقدمها مرسل و يستقبلها المتلقي".[1]

"يعد الخطاب من القضايا الشائكة في الدرس النقدي نظرا لحداثة المفهوم وتعدد مرجعياته حيث يتخذ مفهومه تبعا للحقل الذي ينتمي له ،حيث يشير صلاح فضل إلى ذلك :

ولعل أهم الدراسات المشتركة بين العلوم المختلفة المتصلة بالخطاب، هي الدراسات النفسية اللغوية والاجتماعية اللغوية، وهي تجري لوضع الأسس التجريبية والنظرية لتحليل الخطاب، وتتصل بتحديد طبيعة العمليات المعرفية المستخدمة في إنتاج الخطاب وفهمه وتخزينه وإعادة إنتاجه بالإضافة إلى القواعد المعرفية العامة".[2]

نجد الخطاب قد يتحدد ضمن توجيهين، أولا نظام لغوي تبعا لقواعد تشوميسكي في التركيب النحوي للجملة، و ثانيا ربط مفهوم الخطاب بعدد من المفاهيم التي لا تتجاوز مقولات من يتكلم؟ أو إن كان هذا الملفوظ صحيحا أم لا ،فالخطاب يمتاز بعدد من الوظائف والمفاهيم الجديدة، التي تركز على قوة ومقدار هذا الخطاب وأدواره الوظيفية، ونموذجه خطاب علم الإنسان ethnographie القائم على وصف ثقافات الشعوب و التعريف بهويتها و تشكلها.

---

[1]- نقلا من موقع الانترنت، مريم غياضة، مفهوم الخطاب، 29اغسطس 2016، الرابط www.mawdoo3.com

[2]-رامي أبو شهاب, الرسيس و المخاتلة ص41

قد أشار صلاح فضل إلى ازدهار دراسات الخطاب في الغرب خارج سياق علم اللغة نحو علوم أخرى منها "علم الاجتماع"فقد حيث تركزت لجونه في المجال التحليل المستفيض للحوارات اليومية وقواعد متتاليات الجمل، والأفعال الحديث ومحتواه المتعلق بالمعتقدات وأنماط السلوك للأفراد في المجتمع".[1]

نلاحظ أن الخطاب يقوم على عامل التضافر بين عناصره فهو كلي، ولي وحدات جزئية مشتقة، وهو كذلك مجموعة من الخصائص التي تنظمه، والتي بدورها يمكن ألا تنتمي كلها إلى مجال اللغة.[2]

من خلال ما درسناه على الخطاب نفهم بأنه ينتمي إلى العديد من المجلات والكثير من العلوم، فهو ليس خطابا واحدا فقط بل يستطيع أن يتناول العديد من العلوم، حيث نجد عدة أنواع من الخطاب مثلا الخطاب الدين أو الخطاب السياسي أو الخطاب الاجتماعي أو الخطاب الإرشادي أو الإصلاحي ،و نجد هذا الأخير يحمل رسالة و هذه الرسالة عبارة عن نص أو مجموعة من الفقرات المتناسقة الذي نود من خلالها تبليغ عن هدف معين.

يتحدد مفهوم الخطاب بالاتكاء على المدرسة اللغوية والنظرية والثقافية ،ولكن تضاف مؤثرات أخرى نتيجة للبحث عن تداخله وتحالفه مع روابط القوة الناشئة بفعل بنية الملفوض الخاص، وعلى سبيل المثال موضوع الجنس وهكذا بات التركيز أكثر على الخطاب لا على مكوناته فقط،

[1]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الطبعة1992، ع317 ص42

[2]- نفس المرجع، ص43

ونتيجة هذا تري "سارة ميلز" الخطاب بأنه عبارة عن التلاحم بين حقلين هامين هما اللغوي والثقافي، قد وصفه "فوكو" بأنه شيء غير منجز داعيا إلى التأمل في نقطة البداية أو النهاية التي تشكله، فالخطاب يرتبط بما يتجاوز مقصد الملفوظ أو المنطوق أو المكتوب، فهو أبعد من ذلك وأكثر تعقيدا ،خاصة حين يتوجه إلى المؤسسة التي ترعاه وتحدد قوانينه.[1]

لقد استخدم مصطلح الخطاب في "النظرية المعاصرة " وغالبا ما يوظف في مجال النقد ما بعد الكولونيالي كما في المصطلحات مثل الخطاب الكولونيالي المقتبس على وجه الخصوص من استخدام "فوكو" لهذا المفهوم ،حيث استخدمت كلمة الخطاب في الأصل منذ القرن السادس عشر تقريب لوصف أي نوع من التحدث أو الكلام أو المحادثة ،ولكن الكلمة أصبحت تستخدم بصورة متزايدة لوصف الحديث أو السرد أو التناول المطول لأي موضوع متسم بطابع رسمي أكبر أو مبحث أو أطروحة أو عظة ...واستخدم اللغويين الكلمة مؤخرا بمعنى تخصصي لوصف أية وحدة كلامية أطول من جملة.[2]

من خلال هذا نفهم أن الخطاب قد يوظف أيضا في المصطلحات الكولونيالية ،وتنقل من خلاله الكولونيالية أساليبها وسياساتها وتوجيهها إلى الشعوب التي استولت عليها وعلى أراضيها .الكولونيالية تعتبر الخطاب مهم لأنه يزاوج بين القوة والمعرفة، من يمتلك القوة يتحكم فيها هو معروف وفي الطريقة التي يمكن أن يعرف بها، وأولئك الذين يمتلكون مثل هذه المعرفة لديهم سلطة

---

[1]- رامي أبو شهاب, الرسيس و المخاتلة ص44

[2]-كرمة سامى، الدراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية ص139

على أولئك لا يملكون مثل هذه المعرفة والقوة مع خصيصا في العلاقات بين المستعمرين والمستعمرين.[1]

فالخطاب مثل ما هو معرف بأنه عبارة عن مقالات شاملة لمجموعة مواضيع تحمل في طياتها رسالة هو أيضا سلاح قد تحارب به الدول القوية الدول الضعيفة و تعتبره من أساسيات قوتها وسلطتها لأنها من خلاله تخلق لنفسها مكانة بين الشعوب،لأن الخطاب هو غير محصور قد ينتشر في داخل البلاد أو خارجه، حيث أن كل العالم يشترك في هذا المصطلح"الخطاب".

يقول "فوكو" بأن الخطاب هو الملمح الجوهري للحداثة ذاتها إذ يقع خطاب الحداثة عندما يتلفظ به، أي المدرب عنه أهم من التلفظ ...[2]

وعلى ذلك بإمكاننا ذكر مثال لنتحدث عن الخطاب المتمركز حول أوروبا أو خطاب الحداثة أو منظومة المقالات التي يمكن إنشاؤها بشأن العالم، وتنطوي على افتراضات معينة وتحيزات وأشكال من التعامي والاستبصار لها حميما منشأ تاريخي لكنها تقصى مقولات أخرى من الممكن أن يكون لها شرعية مماثلة وبالتالي تصبح كل هذه المقولات وكل ما يمكن احتواؤه داخل الخطاب مصان من خلال التأكيد على الحقيقة.[3]

---

[1]- كرمة سامى، الدراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية ، ص141

[2]-رامي أبو شهاب, الرسيس و المخاتلة ص 144

[3]-عمر أزراج، مجلة العربية، في مفهوم الخطاب الكولونيالي و ممارساته ،17 مارس2010، ص22

الاستعمار قد اتخذ الخطاب وسيلة لتوصيل أفكاره، وإيديولوجياته وقد يحمل الاستعمار من خلال الخطاب كل قواعده القاسية و أساليبه الشنيعة كرسالة إلى الدول الضعيفة، ومن خلال هذا تتكئ " أنيا لومبا " علي رأي "ادوارد سعيد" بخصوص مفهوم الخطاب من اجل إعادة تنظيم دراسة الاستعمار،انه يفحص كيف أدمجت الدراسة الرسمية للشرق ، و(ما يشار إليه بالشرق الأوسط) بالإضافة إلي نصوص أدبية وثقافية أساسية وطرق معينة من الرؤية والتفكير ساهمت بدورها في عمل السلطة الاستعمارية، وحسب" ادوارد سعيد" نفسه فإن سلطة الأكاديمي والمؤسسات ...والأهم أن مثل هذه النصوص لا يمكنها إنتاج المعرفة فحسب ،بل الواقع ذاته الذي يظهر هذه النصوص تصفه ،ومع مرور الوقت تنتج مثل هذه المعرفة ، وهو الواقع تراثا أو ما يسميه "ميشال فوكو" خطابا[1].

نلاحظ أن الخطاب هو صنع المجتمع و تعبيرا عنه ،فهو يخضع لكل وضع يدمجه المجتمع فيه ،فهو الواقع المنقول من خلال مجموعة من النصوص الأدبية.

[1]-عمر أزراج، مجلة العربية، في مفهوم الخطاب الكولونيالي و ممارساته.ص5

3- الخطاب الكولونيالي"الاستعمار":

إن الخطاب الاستعماري هو تحليل ما بلورته الثقافة الغربية في مختلف المجلات من نتاج يعبر عن توجهات استعمارية إزاء مناطق العالم الواقعة خارج نطاق الغرب ، علي أساس أن ذلك الإنتاج يشكل في مجمله خطابا متداخلا بالمعنى الذي استعمله " فوكو" لمصطلح الخطاب.[1]

فالخطاب الاستعماري ليس مجرد مصطلح جديد وهمي للاستعمار،أنه بالأحرى يدل على طريقة جديدة في التفكير ،تشترك فيها عمليات ثقافية وفكرية واقتصادية أو سياسية معا، في تشكيل و إدانة و تعرية الاستعمار.[2]

نفهم من خلال هذا الأخير أن الخطاب الاستعماري هو مصطلح قديم استعملته الدول الاستعمارية كطريقة جديدة للكفاح في داخله شتى المجلات، وله أبعاد ثقافية وفكرية واقتصادية وسياسية...الخ

---

[1]- ميجان الرويلي ،سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي ص158

[2]- أنيا لومبا، النظرية الاستعمارية و ما بعد الاستعمار الأدبية ص64

4- بعض النقاد الذين حللوا الخطاب الكولونيالي:

"يأتي "ادوارد سعيد" في طليعته محللي الخطاب الاستعماري بل ويعده بعضهم رائد الحقل حيث قام بوصف الخطاب بأنه أداة لفرض السلطة، حيث أصبح يعرف باسم نظرية الخطاب الكولونيالي وتلك النظرية التي برزت في الثمانينات القرن الماضي..."[1]

"كما نجد " هومي بابا" الذي يعد من أشهر منظر للخطاب الكولونيالي الذي افترض تحليله ووجود تناقضات معينة معظة داخل العلاقات الكولونيالية، مثل الهجنة والازدواج الوجداني والتقليد، وهي تناقضات كشفت غياب الحصانة الجوهرية".[2]

"يتضح لنا أن الخطاب الكولونيالي هو إدراك منظومة من المقولات داخل حدودها وهذه المنظومة تكون لصالح الفئة أو السلطة المهيمنة في المجتمع ،وهذا من خلال فرض معارف وحقول معرفية وقيم معينة علي الفئة الخاضعة لسيادتها ،حيث يؤدي الخطاب الكولونيالي وظيفة تشكيل الواقع".[3]

"الخطاب الكولونيالي يشكل ذهنية المستعمر بنفس القدر الذي يشكل به ذهنية المستعمر...إن الخطاب الكولونيالي هو متضمن بدرجة كبيرة في أفكار مركزية القارة الأوروبية وبالتالي فالافتراضات التي عدت واسمة لنزعة الحداثة، أي افتراضات بشأن التاريخ واللغة والأدب والتكنولوجيا،

---

[1] – ميجان الرويليي،سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي ص100

[2]– نفس المرجع ص102

[3]–كرمة سامى, دراسات ما بعد الكولونيالية ، المفاهيم الرئيسية، ص101

إضافة إلي هذا الأخير يعد منظومة من المقولات التي يمكن إطلاعها عن المستعمرات والشعوب المستعمرة وعن القوى المستعمرة، وعلي الرغم من أن هذا الخطاب يتم توليده داخل المجتمع المستعمرين وفي حدود ثقافتهم ،فقد صار هو الخطاب الذي قد يرى المستعمرون أنفسهم داخله أيضا".[1]

مما سبق نستنتج أن الخطاب الكولونيالي يضم منظومة من المقولات تحمل في طياته الشعوب المستعمرة والشعوب المستعمرة أيضا وهو متضمن ومركز كثيرا علي الأفكار التي تخص القارة الأوروبية,

. لقد قام الاستعمار على الخطاب قائم على العرقية و العنصرية و تصوير الأراضي على ألفا أراضي بكر غير مكتشفة، أو حتى أن مما يسمح بإعادة رسم خرائط جغرافية وثقافية، للأخر وأرضه كما فعل كتاب ورحالة مستكشفين اعتمدوا كثيرا على الرحلة نحو الاتجاه الجنوب إلى عمق الظلام".[2]

مما هو ملاحظ أن الخطاب الاستعماري تمثل في عدة أشكال من بينها العرقية والعنصرية حيث اعتمد مكتشفيه على الرحلة من أجل إعادة رسم الخرائط الجغرافية والثقافية.

"وهكذا نجد" الخطاب الكولونيالي " يقصد به الأشياء الذي صاغتها الثقافة الغربية على المستويات كافة ،من حيث الإبتناءات الثقافية للأخر والتي يتيح عملية الهيمنة في حين أن النظرية الكولونيالية تقع في الطرف الأخر،فهي تعني بإنشاء من وقع عليه الاستعمار،وخطابه الذي يعمل من

[1]– كرمة سامى, دراسات ما بعد الكولونيالية ، المفاهيم الرئيسية ، ص102

[2]–رامي أبو شهاب, الرسيس و المخاتلة ص114

خلاله على إبطال وتفكيك هذه المقولات ذات الطابع الاختزالي والفوقي والاستعلائي المصوغة من قبل الغرب وهذا ما نعثر عليه في موسوعة النظريات الأدبية لنيل الراغب".[1]

"غالبا مل يشار إلى الخطاب "ادوارد سعيد" و دوره في تأسيس لمفهوم الخطاب الكولونيالي وهنا نعتمد على تحليل "أشكروفت"حيث يرى فيه الخطاب القائم على دراسة الوسائل أو الطريقة التي يغطي بها مثل هذا الخطاب الأهداف السياسية و المادية للاستعمار".[2]

لاسيما أن الخطاب الكولونيالي اتكأ على آليات محددة ،فالخطاب المقاومة ما انفك يدرس من

خلال مفاهيم التمثيل العرقي والجنسي والجغرافي ، فضلا عن السرد واللغة بهدف فك المحتوى الدلالي والتركيبي لخطاب المستعمر الغربي، ولا تقودنا أن نشير إلى أن محاولات" الإمبراطورية ترد بالكتابة تتبنى تقريبا التحديد والتصور الغربي، لاسيما إحالته ومناقشته لتسميات تحمل في طابعها نزعة غربية،منها (أدب العالم الثالث، وأدب الكومنولث،والآداب الجديدة الانجليزية بالتجاور مع أدب ما بعد الكولونيالية، وذلك يعنى أن الكتاب ينطلق من آداب المستعمرات السابقة، ولكن بلغة المستعمر نفسها لاسيما الإنجليزية.[3]

يتميز الخطاب الكولونيالي بآليات محددة، وتسميات تحمل نزعة غربية تمثلت في عدة آداب مختلفة، واعتماد المستعمر على اللغة الانجليزية.

---

[1]- ميجان الرويلي,سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي ص157

[2]- ادوارد سعيد، الثقافة و الامبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب بيروت،طبعة الثالثة،،2004، ص227

[3]- رامي أبو شهاب، الرسيس و المخاتلة ص109

لقد أضافت "أنيا لومبا" كذلك في شأن الخطاب الكولونيالي أن تحليله يجعل من الممكن تتبع الصلات بين الظاهر والخفي والمهيمن والمهمش، الأفكار والمؤسسات، إنه يسمح لنا برؤية كيفية عمل السلطة من خلال اللغة والآداب و الثقافة التي تضبط حياتنا اليومية.[1]

حسب تحليل "أنيا لومبا" نلاحظ أن الخطاب هو مؤيد لجميع المؤسسات والممارسات التي تنشر وتبرر الاستعمار.

وإذا نقل مفهوم الخطاب إلى الساحة الكولونيالية وما بعد الكولونيالية، نجد التقسيمات المتداولة في خطاب المراكز الاستعمارية في مجالات السياسة والإعلام والثقافة والاقتصاد وغيرها تعطي لهذه المراكز امتياز الحداثة وتعطي لأطراف المستعمرة لقب البدائية، أو لا عقلانية، وهكذا نجد أمامنا مجموعة من الثنائيات المتضادة مثل القوى الكبرى،الأطراف الهشة والتنوير العلماني،الأصولية الدينية الفلامية، والتقدم والتخلف وهلم جرا إن هذه الثنائيات تفضل الغرب على العالم الثالث، والتقدم بشكل مباشر، وبشكل موارب حينا أخر، وتكرسه كسلطة.[2]

" لقد قامت "أنيا لومبا "كذلك بتوضيح عدد من الاستراتيجيات والتوجهات التي تمثل الخطاب الكولونيالي، وتشرح آلياته وأسرار وجودة، فالاستعمار شديد الارتباط بالبعد الاقتصادي لأوروبا وفي سبيل دعم هذا الهدف، لجأت أوروبا إلى تفعيل الأداة الكولونيالية المادية العسكرية المدعومة بدورها

---

[1] –عمر أزراج، الخبر الجزائرية، في مفهوم الخطاب الكولونيالي و ممارساته، ص12

[2] – نفس المرجع، ص16

بخطاب متشعب يهدف إلى تبرير هذا الفعل ووضعه في صورة مقبولة ضمن نشر مقولات العرق الأدنى و همجية، ودور أوروبا في نشر سبيل الترقي والحضارة".[1]

"كما يشرع الخطاب الكولونيالي بطبيعة الحال نحو استبعاد المقولات المتعلقة باستغلال الموارد المملوكة للمستعمر،والمكانة السياسية التي تكتسبها القوى المستعمرة، وأهمية توسيع الإمبراطورية بالنسبة لسياسة الداخلية في دول المستعمر، كلها عوامل قد تكون أسباب إجبارية للحفاظ على الروابط الكولونيالية ،والتالي كانت مهمة القوة الإمبريالية أن تعبر خلق نفسها في المجتمع الكولونيالي،وأن حضارة المستعمر إلى الأمام".[2]

" الخطاب الكولونيالي هو صيغة أكتسب معناها حديث، و هو ما يمكن فكه بوصفه مصطلحا محددا للمجال المفاهيمي الذي نجده في كتاب الإستشراق "لإدوارد سعيد"، و رغم الكم الهائل من الإنتاج في هذا المجال الذي بعد صدور الكتاب الإستشراق كان له و بكل وضوح جذور من قبل ذلك و لمدة طويلة وفقا لرأي هولم".[3]

"وإذا ركزنا على مفهوم الخطاب الكولونيالي، نجد أنه يتخلله صور للجنسانية العدوانية وصور "هوس " بفكرة الهجين والمختلط عرفيا، وبالخيالات الملحمة بشأن ممارسة الجنس فيما بين الأعراق

---

[1] -رامي أبو شهاب، الرسيس و المخاتلة ص77

[2] - ميجان الرويلي،سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي ص101

[3] -كرمة سامى، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية، ص155

المختلفة ويخلص "يانج" إلى أن الجنسانية هي الإرث الصريح والمنسجم مع الخطاب التجاري المواجهات الكولونيالية".[1]

"والأمر الأهم في نظرية "هومي بابا" من ناحية أخرى ،أن الازدواج الوجداني التي يخلخل السلطة الخاضعة بالهيمنة الكولونيالية، لأنه يرى بأنه الازدواج الوجداني يفصم عرى الحلاقة البسيطة بين المستعمر والمستعمر وعلى ذلك فالازدواج الوجداني ملمح غير مرغوب فيه داخل الخطاب الكولونيالي،بالنسبة للمستعمر، وتكمن المشكلة في الخطاب الكولونيالي في أنه يريد تخليف متلف سهل الانقياد يعيد إنتاج مسلمات المستعمر وعاداته وقيمه، أي تقليد المستعمر لكن بدلا من ذلك أنتج الخطاب الكولونيالي تابعين مزدوجين الوجدان ولا يتأى تقليدهم له كثيرا عن الاستهزاء".[2]

"في كتاب "دراسات ما بعد الاستعمار–المفاهيم الرئيسية " نميز بين الخطاب الكولونيالي وبين الخطاب ما بعد الكولونيالي حيث يقول "ادوارد سعيد" أن الخطاب الكولونيالي هو أداة للقوة والهيمنة مشكلا نظرية الخطاب الكولونيالي ومركزة أليه التمثيل، وهنا تواجه مفهومين ومصطلحين مختلفين، وهناك نوع من الاختلاف للتحديد الزمني والمفهومي ،فالخطاب الكولونيالي القائم على جهود "ادوارد سعيد" والمعني بالخطاب الغربي كأداة للهيمنة والسيطرة جاء مقابلا لخطاب ما بعد الكولونيالية الذي يعمد لتركيز على التداعيات الاستعمار على الثقافة والمجتمع بعد الاستقلال وبالرغم من ذلك هناك رابط مشترك يتمثل بأن كلا المصطلحين يرتبطان" بإدوارد سعيد"، ولهذا فإن الاختلاف يأتي من

[1]– كرمة سامى، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية، ص99

[2]– نفس المرجع ص61

عاملين، أولا الزمني أي مرحلة الخطاب الكولونيالي وهذا ما يعني استمرارية الخطاب الكولونيالي،طالما أن الاستعمار موجود بالإضافة إلى أن تداعيات ما بعد الاستعمار غير منتهية أو منجزة، بينما العامل الثاني يكمن في الإستراتيجية ففي الخطاب الكولونيالي يتم التركيز على الخطاب وممارسته عبر تمثيلات الآخر المستعمر في لغة المستعمر،في حين أن خطاب ما بعد الكولونيالية يدرس تبعات الاستعمار وأثاره على المجتمع والثقافة واللغة فضلا عن مظاهر المقاومة".[1]

من خلال هذا الاختلاف الذي جاء به "ادوارد سعيد" في الخطاب الكولونيالي و الخطاب ما بعد الكولونيالي يتضح لنا أنهما و بالرغم من هذا الاختلاف فهما ينتميان إلى نفس المجال ولهما نفس الأهداف و يخضعان لسلطة واحدة.

"ففي كتاب دليل الناقد الأدبي تقع على حضور مصطلح الخطاب الكولونيالي بالتجاوز مع مصطلح النظرية ما بعد الكولونيالية،حيث يرى المؤلفات أنها يكملان بعضهما البعض، فالخطاب الكولونيالي من منظورهما يعني تحليل ما بلورته الثقافة الغربية ،في مختلف المجالات من نتاج يعبر عن توجهات استعمارية إزاء مناطق العالم الواقعة خارج نطاق الغرب على أساس أن ذلك الإنتاج يشكل في مجمله خطابا متداخلا بالمعنى الذي استعمله "فوكو" لمصطلح الخطاب".[2]

مما هو ملاحظ أن كل من المصطلحين الكولونيالية و ما بعد الكولونيالية يكملان بعضهما بعض و لهما منظور مشترك في تحليل ما جاءت به الثقافة الغربية.

---

[1]-رامي أبو شهاب، الرسيس و المخاتلة ص52،53

[2]-ميجان رويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي ص157

"لقد بدأت بعض الجهود تتبلور اذ أن نلاحظ قراءات ثقافية متنوعة تنطلق من مبادئ

خطاب الكولونيالية النظري في دراسات،تتناول الرواية و الشعر و القصة ،فضلا عن السينما و المسرح والموسيقي من منطلقات لا تقتصر فقط على تمثيلات الغرب و الشرق كما لدى "ادوارد سعيد" أو الهيمنة لدى "سيفاك" في الدراسات التابع، بل ظهرت دراسات تدرس الحالة الكولونيالية لإفريقيا والشعوب الأصلية في أستراليا،و الأمريكيتين و الكثير من المناطق".[1]

" لقد مارست نظرية الخطاب الكولونيالي ضغوطا على النظرية الثقافية المعاصرة، عندما لفتت النظر إلى طرق التعبير والتفكير، التي وظفتها الكولونيالية لخلق فكرة دونية الذات الكولونيالية وممارسة السيطرة تتسم بالهيمنة على المستعمرين من خلال التحكم في أنماط التمثيل العامة والخاصة السائدة".[2]

" ومن خلال اهتمام "هومي بابا" على الذوات الكولونيالية، والخوص في إشكالياتها ومن خلال اعتماد"هومي بابا" على منهج لا كان في التحليل النفسي للذات و اللغة، فهو يعتقد بأن الخطاب الكولونيالي لا يمكنه العمل على لحو سلس كما يوحي كتاب "سعيد عن الاستشراق" وفي عملية إيصال الخطاب فانه تيم تحقيقه وتهجينه، وذلك أن الهويات الثابتة التي تسعى الكولونيالية لفرضها على الأسياد والعبيد أصبحت في الواقع غير مستقرة ،فلا يوجد أية معارضة دقيقة بين

---

[1]-رامي أبو شهاب، الرسيس و المخاتلة ص55

[2]- كرمة سامى، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية، ص149

المستعمر والمستعمر كلاهما محجوز ضمن تبادلية معقدة،يمكن لذوات الكولونيالية التفاوض على الثغرات الخطابات المهيمنة بطرق مختلفة".[1]

"كما يكتب "فوكو" قائلا((أعتقد أني ضاعفت من معاني المصطلح "الخطاب"عوضا عن الحد شيئا فشيئا،من معانيه المتكاثرة، فأقاربه أحيانا، بوصفه الحقل العام لكل العبارات،و أعالجه أحيانا أخرى،كمجموعة متفردة من العبارات، وأراه مرة ثالثة، و ممارسة منظمة تدل على عدد بعينه من العبارات و تفسره))".[2]

يرى فوكو الخطاب بوصفه جميع الملفوضات التي لها بعض التأثير في المجتمع ثم يراه مجموعة ملفوظات التي تمتلك معا التماسك والسلطة كي تقوم بالمراقبة والتحكم.

[1]- هومي بابا، النقد ما بعد الاستعمار، العدد الرابع،ص11

[2]- شيلي واليا، ادوارد سعيد، و كتاب التاريخ، الطبعة العربية الاولى2007، أزمة النشر و التوزيع.ص43

5- تأثر الأدب بالكـــولـــونياليـــــة :

"يعتبر الأدب فن وإبداع يقوم به الإنسان في الحياة المعاصرة وفي الحياة الماضية،سواء كان مكتوب أو مرسوم أو معبر عن شكل من الأشكال، فالأدب قد نجده يعبر عن المرأة أو الحرية أو الاستقلال، وعن الحرب، الشجاعة،أو حتى عن الاستعمار وبذكرنا للاستعمار قد نشهد بأن الأدب الكولونيالي ظهر في أوروبا و الذي كان يمجد الاستعمار و يحاول أن يجد له العذر والمبررات، بل ذهب في القول بأن لولا هذا الاستعمار لما عرفت إفريقيا الحضارة والتقدم، فإن النقد في أوروبا لم يسلم من هذه النظرة الإستعلانية، و قد تزامنت في القرن الماضي،و هذا النقد الكولونيالي أشد صراحة من الرواية و القصة فهو يقوم على التبخيس و السخرية من كتاب العالم الثالث و كتاباته في مختلف ضروب الأدب و الكتابة".[1]

من خلال هذا نفهم أن بدايات الأدب الكولونيالي كانت في أوروبا حيث شجعت الاستعمار وقالت بأن لولا الاستعمار لما ازدهرت الدول الإفريقية وعرفت التقدم، معتبرين بهذا أن الدول الأوروبية هي التي نقلت الحضارة و نشرت العلم والمعرفة في سائر أنحاء العالم الثالث.

"الدول الأوروبية اعتبرت الأدب كوسيلة للوصول إلى العالم الثالث، وهذا باعتبار الأدب ترجما للحالة الثقافة للشعوب،سواء تلك التي تمثل المركز الميتروبوليتاني أو نظيرتها التي توصف بالهامشية أو التي تنتمي إلي حدود الإمبراطورية والحقيقة أن هذا التهشيم أنما صاغته تجربة الاستعمار سواء في

[1] – عز الدين ميرغني، النقد الكولونيالي، صحيفة الألوان، 31مارس2015، ص14

أوروبا أو إفريقيا أو أسيا والذي نتج عنه تعارض حاد، وربما متناقض.في الحالة الثقافية للشعوب المستعمرة ومرد ذلك، مقتضيات التأثير"الأصلاني" بما يشكله من موروث والتأثير الاستعماري بما يقدمه باعتباره النموذج الأفضل،لذا تراوحت الكتابة الإبداعية بين كاتب مغازل للخطاب الكولونيالي وبين أخر يبحث عن ذاته الموهومة بإثبات الهوية".[1]

الأدب بطبيعته يعبر عن الحالة النفسية والثقافية والاجتماعية لمختلف الشعوب، سواء كانت متمركزة في الدول الإفريقية أو الأوروبية أو الأسيوية، فهو يعبر عن نفس الشعور فالاختلاف يكمن فقط في لغة كل دولة التي تعلني من الاستعمار نجدها تبحث عن نفسها وحريتها التي سلبت منها، فالأدب قد نجده يعبر عن الظا لم ونجده أيضا يعبر عن المظلوم.

"وقد أسست القوى الكولونيالية لهذه الامتيازات عن طريق الاكتناف والذي شجعت الأشكال الكتابية ومنحتها الأفضلية على ممارسة الشفاهية ففي كف الرعاة (patrons)المبشرين الأوائل عد اكتساب المعرفة بالقراءة والكتابة علامة الحضارة،و كان الارتقاء إلي مرتبة الإنسان المتحضر قريبا، إن لم يكن شرطا حتميا مسبقا، بلا ريب بالخلاص ولقد ترسخت هذه الهرمية الثقافية عن طريق المنظومات التعليمية الكولونيالية، وداووين الأدب الكولونيالي (colonial literature bureaux) التي كانت مهمتها تطوير أشكال معينة من التواصل مثل النصوص المدونة في لغات أهل البلد الأصليين و اللغات الكولونيالية".[2]

---

[1]–رشيد راسي، ملتقى دولي" أداب ما بعد الكولونيالية"جامعة العربي تبسي الجزائر، الرابط :potcol12@gmail.com

[2]–أنيا لومبا، دراسات ما بعد الكولونيالية ،المفاهيم الرئيسية ،ص104

"من خلال ما تطرقنا إليه نلاحظ بأن السلطة الكولونيالية قد اهتمت الأشكال الكتابية ومنحتها الأفضلية علي الممارسات الشفاهية فهم يعتبرون أن الأدب هو أساس الحضارة والرقي وهو أرقى الأساليب لاكتساب المعرفة والعلم و اعتبروه كوسيلة للارتقاء و التحضر في عالم الفن الجميل. إلي جانب هذا نجد بأن السلطة الكولونيالية استعملت الصحف واللغات واليوميات والأشكال المتنوعة للأدب القصصي،من أجل تشجيع نمو طبقة من الكولونياليين الراغبين بالمشاركة في الأنماط الكولونيالية للإنتاج الاجتماعي والفني".[1]

كل هذه الوسائل قد اتخذتها القوى الكولونيالية لترفع من قيمة الدول الأوروبية، وتقدم لهم الدعم للارتقاء أكثر فأكثر.

"خطى الأدب المكتوب بالدعم بينما عدت الأنشطة والممارسات الشفاهية بدانية، وهكذا تعرضت للإهمال أو التثبيط بفعالية، وعلم بالرغم من أن بعض الإدراكات الكولونيالية، أقرت الكتابة باللغات الأصلية لأهل المستعمرات، بل وشجعت ذلك فقد فعلوا ذلك بطرائق بدلت الأشكال المحلية للإنتاج الثقافي وشجعت المستعمرين على قبول فكر تفوق الممارسات الأوروبية وأفضليتها على الممارسات المحلية".[2]

[1]- كرمة سامى، دراسات ما بعد الكولونيالي،المفاهيم الرئيسية ص104

[2]- نفس المرجع ص104

كما ذكرنا في السابق بأن ما كتبت من الآداب حفظت وما كانت شفاهية وقد أهملت وعملت الكولونيالية على تشجيع الدول المستعمرة بالاعتراف بالتفوق الأوروبي على التفوق المحلي وحاولت إقناعهم على تقبل هذه الأفكار الأوروبية،محاولة بذلك القضاء الإنتاج المحلي.

لقد تطرق بعض النقاد إلى التحديد الجغرافي والسمات المميزة لآداب تلك الشعوب بالحكم الامبريالية، وهي تشمل آداب بعض البلدان التي خضعت للاستعمار في أسيا وإفريقيا ودول أمريكا الجنوبية بالإضافة إلى الدول التي مثلت امتداد الدول الاستعمارية كلاسيكية انطلاقا من النمط الثقافي والعرقي في أوروبا، لاسيما بعد تنحي السكان الأصليين من التركيبة العربية والاجتماعية السائدة في تلك الدول لعدة عوامل".[1]

" كثر الحديث عن تقليد المغلوب الثقافة الغالب، وكمثل هيمنة الاستعمار الغربي عند احتلاله لشعوب العالم الثالث، ومحاولة فرض لغته وثقافة وأنماط تفكيره ولكن ليس وحسب بل تحمل الهيمنة بعد أخر وهو التصورات لهذا الغالب والمكونة والمؤطرة أما الشكل الخفي من الهيمنة الثقافية فينقسم إلى قسمين خارجي وذاتي". [2]

من الملاحظ أن الدول المستعمرة اتبعت الدول التي فرضت عليها الاستعمار، أي دول العالم الثالث قاموا بتقليد الدول الغربية في مختلف الأشكال وخاصة في الثقافة،هذا يعني أنهم قد نهلوا من علومهم وثقافاتهم.

---

[1]- د.رامي أبو شهاب، الرسيس و المخاتلة ص55

[2]- مختار العربي، مفهوم الهيمنة الثقافية، الحوار المتمدن، عدد ، 1167سنة 2015، الرابط http /: www.ahewar.org

نذكر القسمين الخارجي و الذاتي:

*الخارجـــي: تبرز فيه الخطط الإستراتيجية للاستعمار طويلة المدى لإنجلترا ومصر، الإنتاج الثقافي في مصر.

*الذاتـــي: متمثلة في النظم المصرفية في الثقافة العربية،(المعرفي،البياني،المصرفي،البرهاني) وآلياته وتلك الآليات هي آليات خفية تتحكم في العقل العربي بشكل لاشعوري،ومناهجها في إنتاج العلوم والثقافة العربيتين أن الكشف عن النظم المعرفية العربية،والبني الخفية التي تتحكم في تكوين الثقافة، تعد ضرورة لأنها من أخطر،أشكال التسلط والهيمنة بل أشد خطورة من أشكال الهيمنة الاستعمارية".[1]

"لقد تأثر الأدب الكولونيالية من خلال الاستعمار، الدول القوية قد استعملت الأدب كوسيلة لضغط والهيمنة على الدول الضعيفة، وشكلت علاقة بين الاستعمار والأدب ،حيث تعامل النقد الأدبي مع هذه العلاقة بأن الوضع ينقلب بسرعة مع عددين محللي الخطاب الاستعماري، إذ يكن معظمهم والذين يأتون بثقافة في الدراسات الأدبية أو صلة منهجية بها، هذا لا يعني المعتقدات التقليدية داخل الدراسات الأدبية، قد تبخرت ببساطة حيث تم البدء في اكتشاف الدور الحيوي للأدب، في كل من الخطابات الاستعمارية والمعادية للاستعمار، ومنذ "أفلاطون" تم الاعتراف بأن الأدب يتوسط بين ما هو حقيقي وما هو متخيل، فالمناقشات الماركسية وما بعد البنيوية حول الإيديولوجية تحاول بشكل متزايد تعريف طبيعة هذا التوسط".[2]

---

[1]- مختار العربي، مفهوم الهيمنة الثقافية

[2]- أنيا لومبا، نظرية الاستعمار و ما بعد الاستعمار الأدبية ص78

لقد لاحظنا فيما تناوله النقد الأدبي العلاقة التي تجمع بين الاستعمار والأدب هو وسيط بين الحقيقة والخيال، وحاولت كل من الماركسية وما بعد البنيوية الكشف عن هذا التوسط ومعرفة مدى تأثير الأدب في الإيديولوجيات بصفة عامة.

"يعتبر الأدب منطقة التماس مهمة إن استعملنا مصطلح "ماري لوسي بران" حيث يحدث التلاقح الثقافي transculturation بكل تعقيدات.إن الأدب المكتوب على طرفي التقسيم الاستعمار غالبا ما يمتص ويستولي ويكتب أوجه من الثقافة الأخرى ويخلق أنواعا أخرى وأفكار وهويات أثناء التقدم".[1]

وهذا يعني أن الأدب هو وسيلة مهمة للاستيلاء علي وسائل المهيمنة لتمثيل والإيديولوجيات الاستعمارية أو قبلها أو تحديدها.

" يعتبر الأدب واللغة متورطان معا في بناء ثنائية الذات الأوروبية فالنصوص الأدبية مهمة في تشكل الخطابات الاستعمارية تماما لأنها تعمل بصورة تخيلية وعلى الناس كأشخاص، لكن النصوص الأدبية لا تعكس مجرد الإيديولوجيات المسيطرة".[2]

يفهم من هذا القول أن الأدب واللغة هما ثنائية تتمثل من خلالها الطبقة الأوروبية، فالغرب يعتبرون النصوص الأدبية مهمة، وهذا ليس لأنها تهتم بالإنسان فقط وإيديولوجياته بل تهتم النصوص الأدبية بعدة مواضيع قد تكون اجتماعية أو اقتصادية...الخ.

---

[1]-أنيا لومبا، نظرية الاستعمار و ما بعد الاستعمار الأدبية ص81

[2]- نفس المرجع ص89

وبهذا تعتبر نصوص شاملة للطبقة الأوروبية تجمع في طياته بين الأدب واللغة.

"إن الممارسات الأدبية والثقافية تجسد كذلك تفاؤلات الثقافية، رقصة المرمة التي يمكن اعتبارها رقصة انجليزية خالصة، تطورت من الرقصات البربرية Moonich التي عادت بها الحروب الصليبية إلي أوروبا،في الحقيقة أنه خلال القرون الوسطى وبواكير العصور الحديثة يمكننا أن نرى استيلاء الأوروبي على النصوص والتراثات الأوروبية وخصوصا النصوص العربية".[1]

من خلال هذا نفهم أن الأدب لا يتجسد فقط في كتابة النصوص الأدبية بل يتجلي أيضا في الثقافة والنشاطات، فالأوروبيين قاموا أيضا بالاستيلاء على كثافة الدول التي استعمرتها واستغلت تراثها ولغتها وأدابها.

"ففي كتاب الأدب ما بعد الكولونيالية" لجوستين ادوارد" فصل يعالج العنف عبر عدد من الأعمال الأدبية، تعني بإظهار العنف الذي مارسه المستعمر الغربي،و من هذا المنطلق فإن الأدوات التي تم فيها إخضاع الأخر للهيمنة، باتت هي ذاتها أداة مقاومة استعارها المستعمر بذكر "جوسين" عدد من الأعمال الأدبية منها عمل الكاتب لجيل أم كوتيز أراضي العنف1974 وفيها كويتز إلي إبراز الأدوات التي وظفها المستعمر والمستعمر".[2]

[1]– أنيا لومبا، نظرية الاستعمار و ما بعد الاستعمار الأدبية ص83

[2]–د.رامي أبو شهاب، الرسيس و المخاتلة ص109

6- الأعمال التي تناولت الكولونيالية:

"لقد تناول كتاب أدب ما بعد الكولونيالية العنف الذي عاشته الدول المستعمرة والتسلط والظلم الذي طبقته الدول الغربية وترجمته إلي نصوص تعكس الواقع المظلم لشعوب، فالأدب قام بعكس الصورة الحزينة والمؤلمة لدول الضعيفة التي عانت الكثير من الاضطهاد والعنف والسخرية والاحتقار وكل أساليب التسلط.ومن خلال هذا نجد أن هناك علاقة وطيدة بين الأدب والاستعمار،فالاستعمار هو ظاهرة يتناولها الأدب ويجعلها موضوع قابل للتحليل والمناقشة كسائر المواضيع، وفي هذا المجال نجد "لومبا" التي علقت علي هذه العلاقة وتنامي الاهتمام بهذا الأسلوب للدرس من منطلق عرقي قائلة: تحليلات الكولونيالية أو العرق مثل الدراسات حول النوع (Gender)، لازالت تعتبر مواضيع ذات اهتمام خاص لا تغير جديا التدريس والبحث في بقية الفروع المعرفة ومع ذلك فإن الانتباه مؤخرا للعلاقة بين الأدب والاستعمار قد أحدث نظرية جدية لكل من هذين المصطلحين".[1]

"لقد تدخلت "أنيا لومبا" وقدمت رأيها في هذا المجال حيث وضحت أن لها اهتمام بهذا الأسلوب واهتمام جدي، حيث اعتبرت هذه العلاقة هي بحث في المعرفة وهي أيضا نظرية قد أحدثت اهتمام بالغ في وسط المجتمع، بالإضافة إلى هذا نجد أن آداب المستعمرين تقوم علي إقامة

[1]-رامي أبو شهاب، الرسيس و المخاتلة ص76

فروع عرقية، تنحوا نحو التصوير السلبي منه الشجع والخيانة والمكر والشهوانية والعميقات المطلقة، الأعراف بعينها أنها نوع من التمثيلات التي تنتشر في المتن الكولونيالي علي اختلاف تصويب".[1]

"كما نجد أيضا "ادوارد سعيد" الذي أثار انتباهه الروايات التي كانت تقرأ بمعزل عن التحليل الكولونيالي الكامن في تلك النصوص فتتوارى تلك العلاقة تحت ركام قضايا أخرى، ولقد شرع الناقد بالبحث عن النسق الذي ربما كان متدرجا في حالة لاوعي لدى الكتاب الأوروبيين".[2]

"وهذا الناقد بدأ اهتمامه بهذا المجال مع صدور كتاب الإستشراق الذي يعتبر كتاب الرائد وذات أهمية، حيث أحدث ضجة وثورة في الدراسات الأدبية حيث نجد أن هذا الأخير قد بين أن ليس ثمة شكل أو نشاط ثق[3]افي برئ من ارتباطه بالسلطة الاستعمارية والسيطرة بل هو جزء لا يتجزأ منها يبدوا أن التأكيد على النصوص الأدبية هو الذي ميز ورسم الحدود الواضحة لمجال الدراسات ما بعد الكولونيالية".3

من الملاحظ في هذا القول أن "ادوارد سعيد" مهتم كثيرا بالدراسات الكولونيالية وما بعد الكولونيالية، وهذا ليس مجرد كلام فقط بل هناك أعمال أدبية تحمل مواضيع عن الأدب الكولونيالي، وتجلياته في الدول التي قامت بإحتلالها، قام هذا الأخير بقراءة نصوص عن الكولونيالية كما انعكست في أعمال رفيان وفلوبير ثم استكمل مشروعه بعد ذلك في كتابه الثقافة والإمبريالية culure

[1]- رامي أبو شهاب، الرسيس و المخاتلة، ص78

[2]- ادوارد سعيد، السلطة و الثقافة ، ص339

3- رضوى عاشور، المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، ترجمة إسماعيل عبد الغنى، العدد919، طبعة2005،بالقاهرة.ص339

imperialism وهو كتاب يتضمن قراءة النصوص الأوروبية المعتمدة مثل رواية "مانسفيلد بارك" لجين أوستن، والغريب لكامو.[1]

ومن هنا نفهم أن النصوص الكولونيالية تتماشى جنبا إلى جنب مع نصوص تعبر عن ردود الفعل المتنوعة لأبناء الوطن أو أبناء المستعمرات علي الكولونياليين، ومن خلال هذا نعود إلى "أنيا لومبا" التي أشارت إلي هذه العلاقة واتخذت من مسرحيتي العاصفة وعطيل" لشكسبير" نموذجا،إن التمثيل الإنساني الأسود بهيئة الخاضع والمضطهد وإلصاق الفعل السلبي بشخصية وهذا مألوفا في النص الأدبي الكولونيالي، وحتى في القصيدة فهذا النسق لا يكاد يلفت الانتباه إذ يتسرب خطابا سلبيا ومنتهيا وفارا وثابتا، إذ ميز هذا التحليل قدرته علي تفعيل ما كان مسكوت عنه،إذ أصبح يعمل علي إبعاد عدد من العلاقة التي كانت غائبة ومنتشرة في النص الردئ.[2]

وإلى جانب هذا نجد مظهر أخر للعلاقة بين الأدب والاستعمار، الذي ليس له صلة بما تعنيه النصوص بل بمعنى النصوص الذي تقول به الآراء النقدية السائدة والتي يحتفظ بما فيما بعد داخل النظم التعليمية. يمكننا أن نفهم هذا بسهولة من مسرحية مثل عطيل لشكسبير وهو نص رسمي في المدارس والكليات التي تنتشر في أنحاء العالم، خص النقاد سنوات عديدة الاعتراف بأن المقصود أن يكون عطيل أسود اللون...و حاولوا إلى مالا نهاية بأنه كان في الحقيقة يميل إلي اللون البني و ليس

[1]- ادوارد سعيد ،السلطة و الثقافة، ص347

[2]- نفس المرجع، ص227

حقيقة "زنجي" أو أنه كان أبيض من الداخل، عندئذ يمكن قراءة المسرحية علي أنها تقدم فكرة حول الغيرة عند الذكور لمصيفة عالمية.[1]

يحمل هذا القول معني بأن اللون والعرق يلعب دور في انتشار العمل الأدبي بحيث قبل القراءة أي عمل أدبي لا بد معرفة من صاحب هذا العمل ومعرفة أيضا هل ينتمي إلي لون البشرة السوداء أم البيضاء أم البنية؟

ينبغي لنا أن نشير أيضا إلي "رضوى عاشور" التي تمتلكها فكرة خصوصية الكتابة السوداء التي قامت بإنتاج الإحساس المتشكل لدي الإفريقي بوجوده ولهذا تقارب "رضوان عاشور" عددا من الأعمال ضمن محاور تمثل شكلا من أشكال الكتابة السوداء، كما في الرواية "أموستبوتولا" بعنوان "شريب النخيل" وهي نموذج وجدت فيه مناهضا يقوم علي استحضار الماضي، فالماضي شكلا من أشكال بناء الذات الإفريقية في مواجهة الاستعمار.[2]

نجد أعمال "رضوى عاشور" تنتمي إلى الكتابات السوداء التي تحمل معاناة المجتمع الإفريقي ونبذها للاستعمار فمثلت "رضوى عاشور" بلدها واستحضرت الماضي لتتشكل عندها قوة لمحاربة الاستعمار بقلهما وكلمتها التي قد نجدها معبرة أكثر من الفعل.

نجد الروائي النيجيري المشهور " أشينوا أشيبي" الذي تحدث في هذا الموضوع وكان أيضا يعاني من جنسيته، وانتماء في نشر أعماله حيث قال: في أحد مقالاته "أنه عندما طبع أول رواياته، وقام

---

[1]-أنيا لومبا، نظرية الاستعمار و ما بعد الاستعمار الأدبية ص92

[2]-رامي أبو شهاب، الرسيس و المخاتلة ص76

بنشرها في العالم (1958) كان أول مقال نقدي كتبه علي الناقدة الانجليزية "هونورتراس" في أحد المجالات الانجليزية وقد كان نقدها عنصريا حاقدا وهو أقرب إلي الانطباع الشخصي، وقد كان بعنوان "تحياتي إلي فوضى الكتاب" وقال " أشيبي ": لقد أصابني مقالها بالإحباط والألم فقد وصفتني بالكاتب الزنجي المغمور.[1]

من خلال هذا نلاحظ أن الروائي النيجيري كان يعاني من التحيز والظلم وهذا بسبب الناقدة التي وصفته أنه لم يبذل مجهودا كثيرا بل حاول التقليد وإتباع الغربيين،بمعني لم يأتي شيء جديد وكل ما توصل إليه كان بفضل الغربيين، وقالت أيضا هذه الناقدة في مقالها الذي ما يزال يحتفظ به "أشيبي" حتى الآن: هذا الأسود رغم تحضره الظاهري ولغته الانجليزية السليمة والراقية والذي يتقلد وظيفة مرموقة في "راديولاغوس" يريد أن يعود بنا في نصه الروائي الأول إلي ثقافة أجداده المتخلفة ورغم أنه يكتب بلغته و لكنه جحد كل ما فعلناه لكي تتواكب بلاده مع الحضارة والتقدم.[2]

يمكن القول أن الناقدة هنا تقول بأن حتى ولو كان الروائي الإفريقي يعيش بينهم ويتكلم بلغتهم ويكتب بطريقتهم يبقي هذا الروائي الذي ينتمي إلى أجداده المتخلفين ومع هذا تبقي الناقدة الكولونيالية " أندريسكي" تحاول محو ذاكرة الكاتب الروائي وتشرح جزره من المكان، وهذه الناقدة "أندريسكي" تقول دائما في كتاباتها بأن المدرسة الواقعية الفيكتورية هي التي صنعت الرواية الإفريقية وما يسمى الثقافة الإفريقية كما يدعون، فكل هذا إنما هو نتاج بحثنا ومغامراتنا وتقنياتنا فقد وجدها

---

[1]- عمر أزراج، مفهوم الخطاب الكولونيالي وممارسته، ص8

[2]- نفس المرجع، ص11

الكاتب الإفريقي معدة وجاهزة، وهي ثمرة عشرات السنين من البحوث المضلية ليأتي البعض ويدعي بأنها ذاكرته الشخصية وحياله المبدع.[1]

إلى جانب الروائي الإفريقي نجد الروائي البريطاني "تشارلزديكتر" مثال بارع يلتقطه "ادوارد سعيد" للتدليل على الوشائج المنتشرة بين الأدب والاستعمار إذ يرى أن الشخصيات هذا الروائي تنتمي في معظمها إلي رجال الأعمال والأقارب الجموحين ولا منتهين والمخيفين، فمعظمهم على علاقة طبيعية وآمنة مع الإمبراطورية البريطانية.[2]

نجد الروائي استعمل الاستعمار في روايته و في نموذج روائي أخر يواجه العنف الكولونيالي الممارس من قبل المؤسسة الكولونيالية المعرفية كما في رواية "طفل بلا عيون" لباترشياغريس" وتحكي قصة فتاة أصلا نية من السكان المحليين في نيوزيلندا، عوقبت لعدم تطبيقها وانطباعها لتعليمات المديرة الصادرة باللغة الانجليزية مع الامتناع عن استعمال اللغة المحلية إذ أن لغتهم الأم هي المواري.[3]

هناك روايات تحمل بشكل غير مباشر معني باطني مثل الظلم أو العنف والاحتقار وهذا ما نجده في هذه الرواية معاناة موظفة التي منعتها مديرتها من لغتها الأصلية، وأجبرتها بالتحدث باللغة الانجليزية.

---

[1]- عمر أزراج، صحيفة الألوان، ص 14

[2]-ادوارد سعيد، الثقافة و الامبريالية ص21

[3]-رامي أبو شهاب، الرسيس و المخاتلة ص110

نضيف إلي هذا عمل "سعد البازعي" الذي يتحدد مشروعه واستراتيجياته النقدية من خلال السعي إلى مقارعة النص الغربي الأدبي والثقافي تحديدا وهذا ما نستدل عليه عبر دراساته في هذا الشأن، حيث وضع الباحثة النقدية التي جاءت نتيجة أثر كتاب الاستشراق "لإدوارد سعيد" فقد عده "البازغي" سيوافي تحوله عن دراسة الأدب الأجنبي إلي الأدب العربي لإغنائه، فضلا عن محاولة البحث و الكشف عن عوامل قصورة.[1]

لقد عمل "البازغي " في مشروعه علي المقاربة بين العملين العربي والأجنبي محاولا معالجة بعض النصوص الغربية وتحليلها لفهما ونقلها إلي النصوص العربية، ونجد هذه النصوص قد انتشرت وتشبعت وتسلمت معظم الكرة الأرضية ونتيجة ذلك تتعدد الاستراتيجيات المناهضة تبعا للتجربة التي خاضعتها كل منطقة جغرافية، فالتجربة الهندية تنتج كتابة تختلف عن التجربة الإفريقية أو حتى العربية، في حين أن تجربة الدول التي اتبعت في نظامها نظام الدولة الأم المستعمرة،تتخذ نمطا مغايرا وجدليا خاصة في أستراليا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية حيث يخضع نصف أدب السكان الأصليين بالتجاور مع الأدب المستوطن الأبيض،بالإضافة إلى الأدب الإفريقي بما يعني تعدد مستويات الخطاب ومنطلقات دراسته،ولهذا فإن الأدب الأوروبي ليس أدب مكتوب في أوروبا أو كتبه الأوروبيون لكنه نتج بوثيقة من التاريخ التفاعلات التي ترجع إلى العصور القديمة.

إن طبيعة النصوص الأدبية أو تعقيداتها الإيديولوجية ينبغي ألا تقود إلى استنتاج بأنها نوعا

---

[1]-رامي أبو شهاب، الرسيس و المخاتلة،ص230

ما فوق العمليات التاريخية والسياسية،بل بالأخرى يمكننا أن نرى كيف أن النصوص الأدبية من خلال ما نقول وفي عملية كتابة هذه النصوص ذاتها،هي مركزية بالنسبة للتاريخ الاستعماري ويمكن حقا أ تساعدنا في اتجاهنا نحو تحليل دقيق لذلك التاريخ.[1]

نلاحظ من خلال هذا أن الأدب الأوروبي نتج عن تاريخ تلك العصور،ونجد أن النصوص الأدبية هي الموضوع الأساسي بالنسبة للتاريخ الاستعماري، وتلعب دور أساسي في تحديد تلك الفترات التاريخية، وبالإضافة إلى هذا نجد أن: "فرعا معرفيا مثل الأدب المقارن الذي اعترف بالتفاعل العميق لآداب والثقافات متنوعة وكان ادعاءه المركزي أن أوروبا والولايات المتحدة معا كانت مركز العالم ليس مجرد مركزها السياسي، ولكن الآن آدابها الأجدر بالدراسة عوضا عن هذا يقترح "ادوارد سعيد" أن توضع الأشكال الثقافية الغربية في البيئة الكونية المتحركة التي خلقتها الامبريالية ".[2]

نجد في هذا القول أن الأدب المقارن اعترف بأن أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية هما منبع والمركز الأساسي والسياسي للأدب، حيث نجد أن نشوء بعض الدراسات الأدبية كنوع من فروع الدراسة في الجامعات البريطانية ارتبط حقيقة بالحاجات الملموسة للإداريين الاستعماريين وتشكيل الأدب الانجليزي كفرع دراسي رسمي في جامعتي لندن وأكسفورد الانجليزي، كانت ضرورية لأولئك الذين سيقومون بإدارة المصالح البريطانية، حيث كان على الدراسات الأدبية أن تلعب دورا رئيسيا في

[1]-أنيا لومبا، النظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية ص83

[2]- نفس المرجع، ص84

محاولة إخفاء قيم غربية على السكان الأصلين، وبناء الثقافة الأوروبية كثقافة أعلى وكقياس للقيم الإنسانية وبذلك تحافظ على الحكم الاستعماري.[1]

نجد هنا أن الثقافة الأوروبية حاولت فرض نفسها وتطبيق قوتها للتأثير على الدولة التي احتلتها لتجعل آدابها هو الأدب الرئيسي ولغتها هي اللغة المطبقة والرسمية وحاولت أيضا أن تجعل لنفسها مكانة السلطة والحكم والتملك لكل مقومات تلك الدول الضعيفة وتخفي كل عادات وتقاليد هذه الدول.

من خلال هذا نجد بعض الكتابات الكولونيالية لكتاب مثل :"روديار دكيدلنج وجوزيف كوتراد وإي إم فورستر وهناك نقطة أخرى مهمة رغم تهاون الكثيرين في شأنها، وتقصد بذلك قيام هذا النقد ما بعد الكولونيالي بالربط بين الكولونيالية والأشكال الأدبية ولذلك تركزت الدراسات عن الرواية على تطور الصوت السردي عبر نظريات الذات الكولونيالية، وعندما لا يتوقف النقد الأدبي ما بعد الكولونيالي، عند قراءة النصوص بحثا عن مضامينها،بل يتجاوز ذلك إلى التقنيات المستخدمة وأشكال التمثيل الأدبي، فإنه يكشف مدى تغلغل الثقافة الكولونيالية،و هو تغلغل لا يقتصر على النصوص إلى تتناول بشكل مباشر مواضيع الكولونيالية ".[2]

كانت أقوى وسيلة قد استعملها الغربيون للهيمنة الكولونيالية تتمثل في:"إدخال الدراسات الأدبية الانجليزية في المنهج التعليمي للمناطق المستعمرة، وهي عملية بدأت في القرن التاسع عشر،

---

[1]- أنيا لومبا، النظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية، ص92

[2]- رضوى عاشور، المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، ص339

وقد قامت جاورى فيسواناثان يبحث الاسباب وراء تلك السياسة على نحو مفصل في كتابها أقنعة الإمبراطورية ".[1]

يتبن أن الدراسة الأدبية والحكم البريطاني في الهند جاء بإدخال اللغة الانجليزية في المنهج التعليمي الكولونيالي كان وراء تغريب الأطفال عن ثقافتهم.

كما نجد أيضا بعض النقاد الأوروبيين "يعتبرون بأن الثقافة الإفريقية، كانت ثقافة شفهية ضياع والنسيان كانت خجولة، وغير واثقة من نفسها، حتى جاء الأوروبي بمعرفته لمناهج البحث وفنون التوثيق وأخرج كل خباياها فكتبت ودونت واستفاد منها الكاتب الإفريقي في القصة والرواية والمسرح، حيث يقول روائي النيجيري "أشبي "، إن النقد الكولونيالي ليس في المقال فقط، وإنما هو موجود حتى في النصوص الروائية القديمة،والتي ترى بأن المثقف الإفريقي هو ليس القناع الأوروبي المتحضر، فهو قناع مؤقت يخلعه في أي وقت يريده".[2]

يقول هنا الروائي "أشبي" يقول بأن الكتاب الإفريقيين بإمكانهم الاعتماد وتطبيق بعض معالم الأدب أوروبي، لكن رغم هذا بإمكانهم التخلي عنه في أي لحظة، أي الروائي الإفريقي له منهجه ومعالمه، وبالتالي الاحتكاك الإفريقي بغربيين هو الذين ولد نوع من التقليد، بمعنى حدث تبادل في الثقافات والعادات والتقاليد وحتى في الأدب والأعمال الفنية.

---

[1]- رضوى عاشور، المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية ، ص353

[2]- عمر أزراج، صحيفة الألوان، ص17

من خلال هذا نجد الاستعمار الذي يتجلى في صورة خطاب جديد، الذي ينقده سونيكا له تأثيرين على الأقل على النشاط المسرحي في إفريقيا والدول الغير الغربية ورفض الدراما ذات الخصوصية الثقافية، من جانب العديد من النقاد الغربيين وذلك لعدم إتباع هذه الدراما للموضوعات المعيارية والتي عادة ما تكون أنجو أوروبية وأمريكية، فرض الصيغ الغربية على السياقات غير الغربية.[1]

من خلال هذا قام الباحثون بتحليل مكونات الثقافة الغربية المهيمنة غلى ثقافات العالم ووجدوا أنها تقوم على خمس افتراضات:

1-الفردية التي ترمي إلى إلغاء الطبقة والأمية كإطار اجتماعي

2-الخيار الشخصي الذي يكرس نوعا من السلوك الأناني ويلقي مبدأ التعاون

3-الحياة بمعنى أن الفرد يعيش محايدا يؤدي إلى انعدام التزامه بأي قصة جماعية وطنية أو قومية أو أخلاقية

4- الاعتقاد بأن الطبيعة البشرية لا تتغير

5-غياب الصراع الاجتماعي كأداة للتغيير يؤدي إلى

6-تغيير المبني على الصراع الاجتماعي.[2]

---

[1]- هيلين جبروت،جوان تومكيز، الدراما ما بعد الكولونيالية النظرية والممارسة، ترجمة سامح فكري ،مركز اللغات،1996،ص71

[2]- مختار العربي، مفهوم الهيمنة الثقافية، ص10

7- الأدب الـكـــولــونيالي وعلاقته باللغة:

تعد اللغة من دعائم تشكيل خطاب ما بعد الكولونيالية، من منطلق أن المستعمر قد مارس إحلالا لغويا للغة على حساب لغة أخرى التي تم تهميشها وإقصاؤها بهدف تحقيق غايات استعمارية، تتخلص بفرض حالة من المركزية والتبعية الثقافية للدول المستعمرة، فاللغة هنا فضاء كلي وشمولي يعمل على تغيير التركيب الفكري والعقلي والنفسي والثقافي للمهمين، ومن هنا فان التابع يصبح ضمن المنظومة الثقافية للمتفوق، حيث يصاغ عبر لغته الخاصة مما يسهل عملية قولية الأخر وتشكيلية الجديدة، بمعدل عن المؤثرات الثقافية التي تعمل على تمركزه في ثقافته الحقيقية أو الأصلية.[1]

اللغة هي وسيلة تواصل بين الأفراد والمجتمعات وحتى الدول بفضلها نستطيع فهم ما يريده أي شخص، أما بالنسبة للغة عند الكولونيالية هي وسيلة ورائها هدف، فالمستعمر حاول أن يفرض لغته بالمقابل، تجاهل اللغة التي تستعمرها الدول التي احتلتها وهذا لإخضاعها بتبعيتها الثقافية والاقتصادية والسياسية، فاللغة بإمكانها أن تبدل ما يفكر فيه الإنسان وما يشعر به ومن خلال هذا يصبح ينتمي إلى الدولة التي احتلته

اللغة تعتبر واحدة من المحددات السياسية للسلطة الكولونيالية ،يخاطب كالبيان بروسيس وفي مسرحية العاصفة قائلا: لقد علمتني اللغة وما أخذته منها أنني تعلمت كيف ألعن هذا القول من جانب كالبيان يؤكد دوربروسيسير وكمعلم، كما يؤكد قدرة كالبيان على تفويض هذا الدور إن فرض اللغة الانجليزية على الذوات المستعمرة colonised كان جزءا من مشروع الامبريالية وذلك في

[1]-رامي أبو شهاب، الرسيس والمخاتلة ص98

محاولة حقيقة للسيطرة هذه الذوات بشكل كامل وهذه اللغة تستخدم باعتبارها أداة تحكمية، تعتبر اللغة بدائية عندما تخرج على السلطة الدولة أو سيادتها وتنكر زيف الإحالة أو توصيل الحقيقة.[1]

بالإضافة إلى هذا نجد أن اللغة ذاتها تجسد ثقافة بطريقة غير متيسرة لمتحدثي لغة أخرى ويحاجج هؤلاء النقاد والكتاب الذين يوظفون لغات القوى الكولونيالية السابقة لاستخداماتهم بأنه على الرغم من أن اللغة قد يخلق سياقات عاطفية مؤثرة خلالها تشكل الهويات المحلية لهذه المجتمعات نتيجة لذالك أمرا يتمتع بقدر أقل من الأصالة مقارنة بالنصوص المكتوبة للغات الأهل البلد الأصليين، فان هذه اللغات لا تشكل في ذاتها قالب عربيا قابل لتغيير، كما أن هذه اللغات قد توظف للتعبير عن رؤى لها من القوة والتأثير المماثل تماما ما يجعلها تؤلف نصوصا مناهضة الكولونيالية، إذا عدنا إلى فترة الاستعمار نجد أن اللغة كانت مرتبطة كثيرا في هذا الجانب كما لعبت دورا أساسيا، لأن المستعمر يخاطب ويتواصل مع المستعمر من خلال اللغة لذلك نجد ارتباطا وثيقا بينهما، حيث نجد أن "محور اللغة والاستعمار أو الكتابة باللغة الأخر، ليكون محور تكميليا للمحاور السابقة وهو محور معني باللغة باعتبارها وعاء حاملا للتجربة الثقافية وفيه إيضاح للطرق المتعددة التي يمكن بها توظيف اللغة لدى جماعات مختلفة في عالم ما بعد الاستعمار فإما الكتابة بلغة المركز الامبريالي أو الكتابة كلغة الهوامش التي اعتمدها كل من استخدم اللغة بطريقة مختلفة تمكنها من حمل التجربة الخاصة بأهلها.[2]

نلاحظ هنا اللغة والاستعمار مرتبطان بشكل قوي حيث اعتبرت الاستعمار اللغة الوعاء الحامل للثقافة والعلم والمعرفة الذي من خلالها نستطيع تبادل الآراء والأفكار.

مما لاشك فيه أن الدول التي كانت مستعمرة مازالت تعاني من هذا الإحلال اللغوي ولهذا فان عددا من الدول المستقلة تسنت قوانين وأنظمة تعمل على تخفيف حدة هذه الهيمنة اللغوية، كما هو في شمال إفريقيا، ونموذجها العربي مثل الجزائر التي خضعت لفترة الاستعمار مازالت غير قادرة على

---

[1]- هيلين جبروت، جوان تومكيز ، الدراما ما بعد الكولونيالية، النظرية والممارسة ص243

[2]-كرمة سامى، دراسات ما بعد الكولونيالي،المفاهيم الرئيسية ص33

الانفكاك من التأثيرات الثقافية للغة الأوروبي، وهذا بدوره أو جد جدلا في المؤسسة الثقافية حتى في مؤسسة السلطة وهناك مثقفون يدعون تقبل وجود هذه اللغة إلى حد تبنيها في الإبداع والممارسة والمدارس الكولونيالية.[1]

بالإضافة إلى هذا نجد الدول المستعمرة التي عانت من الاستعمار لفترات طويلة تجد نفسها غير قادرة على الآثار التي تركها المستعمر في ثقافتها وآدابها وحتى اللغة ممثلا الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترك بصمته لحد الساعة فالمجتمع الجزائري نجد له ميول إلى الفرنسية أكثر من اللغات الأخرى.

-إذ نجد أن عملية توظيف لغة المستعمر قد تمثلت بإستراتيجيتين هما:

*إما يأتي الكاتب بلغته إلى بيئة غريبة أو أن يأتي الكاتب بلغة غريبة إلى مجتمعه، إن النموذج الأول هو ما تقوم به الآلة المستعمرة من خلال خطابها ومؤسساتها ومستشر قيدها وعلمائها وكتابها، في حين أن نموذج الثاني يتمثل في تبني مثقفي الدول المستعمرة لغة الأسياد حين يضيق "ادوارد سعيد" فكرة مركزية في سياق تبني ثقافة الأسياد لفتتهم لما تعكسه من بنية نفسية تحكم تعـاطي المستعمر مع المستعمر.[2]

من خلال هذا نجد" أن اللغة ليست وسيلة تواصل وتعبير فحسب إنما هي تشكيل ثقافي شديد الخصوبة والحساسية وتبعا لذالك يعمل الغرب على تشويه ثقافة الإنسان عبر إقصاء اللغة وتحويلها إلى مجرد كائن منقرض جاف وغير حيوي مهجور الثقافات، يضيف بيل أشكروفت أن الامبريالية قامت بتحقيق اقتراب لغوي عميق وقع في ثقافات التي تم فيها جمع الثقافة ما قبل

[1]-د.رامي أبو شهاب، الرسيس والمخاتلة ص98

[2]- كرمة سامى، دراسات ما بعد الكولونيالي،مفاهيم الرئيسية ص104

الاستعمار ومن نماذج التي أزيحت لختم نسب الهنود والأفارقة في حين أن البعض الشعوب الأصلانية الإزاحة كليا كما في أستراليا، ولهذا فان بعض الإشكاليات التي ترتبط بتبني لغة المستعمر.[1]

لاسيما أن هذه المشكلة تظهر بكثرة في الدول الغربية التي طالما ما كانت تعاني من الاستعمار، التي تبدو متبقية للمنهج الغربي ولغته، حيث نهلت منه الكثير من الأشياء وقامت بتطبيقها من أجل تحقيق النهوض الاقتصادي والفكري و الحضاري والتطور التقي والسياسي.

من خلال هذا نجد في موسوعة << دراسات ما بعد الكولونيالية >> وتحت عنوان " اللغة "نجد إحالات إلى كل من المركز و أمة وإذا كان من السهل نفهم دلالة الكلمتين الأوليين، فإن الكلمة الثالثة تحيل إلى كاتب " كيني" تميز بخطابه المناهض للهيمنة اللغوية الكولونيالية، من خلال كتاب تصفية استعمار العقل، وتتخذه هنا مرجعا أساسيا في هذا المحور بالإضافة إلى مساهمة بعض الدارسين.[2]

نفهم من خلال هذا أن الكلمتين المركز وأمة، واضحتين أما الثالثة قد قصر بها الكاتب،الذي اهتم كثيرا بمصطلح اللغة وحاول كشف الإحالات التي تنتمي اليها.

وعند عودتنا للبحث عن كلمة اللغة تحيلنا الموسوعة إلى كلمة "المركز" بالإضافة الحواضري métropolitain والهامشي أو الثانوي marginalité وكلها تفتح تساؤلا حول مقدار مركزية لغة المستعمر سواء كانت إنجليزية أو فرنسية ودورها في تأسيس وتدعيم الهيمنة الكولونيالية التي اتخذت

---

[1]-د.رامي أبو شهاب، الرسيس والمخاتلة ص105

[2]- نفس المرجع ص 99

من خطابها وإنشائها أداة قوية فاعلة،ولهذا فإن ثنائية المركز والأطراف ، كما تشير الموسوعة هما المفهومان الجوهريان لخطاب الكولونيالية.[1]

تبين لنا أن اللغة هي النقطة المركزية الذي يبني عليها أي التواصل أو الارتباط و من هنا نجد أن الاستعمار يترك بصمته من خلال اللغة سواء كانت فرنسية أو انجليزية، وبطبيعة الحال الدول المستعمرة قد تعاني من هذا الجانب لأنها تجد نفسها مجبرة على التأقلم بلغة المستعمر وتعلمه الفهم ما يقصد به.

بالإضافة إلى هذا نجد أن "اللغة" ترتبط بشكل وثيق بإحساس متحدثيها بالاستقلالية والكرامة، وهما ما يتلاشان عندما يستبعد المستعمر اللغات الأصلية،إن نسق القيم الذي يملكه اية لغة فرضياتها وجغرافياتها وتصورها عن التاريخ والاختلاف ودرجات تميزها للأشياء يصبح نظاما تتأسس عليه الخطابات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، حيث أن السلطة التي تحرزها اللغة المفروضة هي ذات السلطة التي يحرزها الأدب، حيث أن المهام الذي تقوم به اللغة الامبريالية من قبيل تسمية الأشياء ومسائلتها تفاقم من عملية إضعاف الشعوب الثقافات الأصلية، إذ أن تسمية الناس والأماكن باللغة الانجليزية، و إحلال أسماء جديدة محل بنايات القديمة للمكان والهوية، من شأنه تأسيس سيطرة جريئة على الواقع والجغرافيا والتاريخ والذاتية.[2]

---

[1]- رامي أبو شهاب، الرسيس والمخاتلة، ص99

[2]- هيلين جبروت، جوان تومكيز، الدراما ما بعد الكولونيالية، النظرية و الممارسة ص144

من خلال هذا نفهم أن اللغة هي القاعدة الأولى التي يهتم بها الكولونياليين، لإحراز السلطة على المستعمر، فالكولونيالية تنظر للغة من منظور سياسي، حيث بها تفرض نفسها بقوة.

" إن اختيار اللغة أو لغات يعبر المرء من خلالها عن فئة الدرامي، الذي هو في حد ذاته فعل سياسي لا يحدد فقط الوسيط اللغوي، لمسرحية ما إنما يحدد الكثير من الحالات الجمهور المستهدف أيضا، فعلى سبيل المثال يرفض "ناجوجي واثينج" الكتابة بالانجليزية مفضلا استخدام اللغة الجيكويو في مسرحياته ورواياته ونقده، وذلك لأنه يكتبها أساسا ليخاطب الكنين وعلي نحو مشابه يقدم مسرح عمال تاتال في جنوب إفريقيا عروضه مستخدما لغة الزولو ذلك أنه يستهدف تقديم الخطاب العامي الذي يستخدمه جمهور الطبقة العاملة السوداء.[1]

إن اللغة هي بحد ذاتها فن يبرز من خلالها الشخص هوياته وميوله الثقافي والفكري، كما هي ترجمان بما في داخلنا فكل دولة ولها لغتها وكل شخص يفضل التعامل بلغتها ويفضل التخاطب بها.

"حيث هناك تساؤل حول التشدد الذي تمارسه الأنظمة الكولونيالية بالإصرار علي تبني لغتها، إذ لا بد أن هناك سببا ما؟ يفسر" ادوارد سعيد" ذلك من خلال الإشارة إلى رغبة الغربي علي إرغام الأخر على استخدام لغة المهيمن، وهذا يدخل من باب الاحترام للمجتمع والثقافة الأقوى، إن مقولات اللغة المنطوقة علميا ولغة العلوم، ما هي إلا محض ادعاءات تبرر الإحلال اللغوي والثقافي الذي تنتهجه الدول الكولونيالية، فلغة العلم في عصرنا باتت مقصورة على اللغة الانجليزية لاسيما مع ظهور

[1]– هيلين جبروت، جوان تومكيز، الدراما ما بعد الكولونيالية، النظرية و الممارسة، ص249

العولمة، حيث أخذت الانجليزية تهدد اللغات الأخرى، حتى الكولونيالية منها كاللغة الفرنسية والألمانية والاسبانية فكل ما سبق بفضل المنظور الأنجلوسكسوني المستعمل عبر القوي الكولونيالية.[1]

وما يضاف إلى هذا نجد أن اللغة هي الصورة الخارجية التي تكمل الصورة التي ترسمها في خيالنا، والإنسان بطبعه اجتماعي لذلك يستعمل اللغة للتواصل، وكل إنسان له لغته فإذا حاول ان يغير بلغته بلغة أخرى يجد بعض الصعوبة ويكون بحاجة إلى بعض الوقت لتعلم أي لغة غير لغته.

وهكذا فإننا نواجه أنماطا من الإحلال اللغوي للغة المستعمر على حساب لغة المستعمر، وترى أيضا أن بناء ثقافيا يتمثل بمركز لغة المستعمر، لاسيما اللغة الإنجليزية وآدابها، في هذا الموقف نقرأ مناهضة للهيمنة اللغوية، ليس على الصعيد النظري إنما على الصعيد العملي،فكاتب عرف ونشأ في أكتاف اللغة الانجليزية فترة طويلة يراهن على تأثيره وانتشاره وقبوله في النخب الثقافية العالمية عن قطع الصلة مع لغة يسعى الكل لها في سبيل العالمية، إن نغوجي يأخذ موقفين مهمين: أولا رفض لغة المستعمر، ثانيا العودة إلى لغة المستعمر(الأصلانية) هذا الموقف أو النقل هذه الإستراتيجية قد سبقت فعليا التأصيل النظري لخطاب ما بعد الكولونيالية.[2]

نلاحظ هنا أن الدول المستعمرة تحاول فرض لغتها علي الدول المستعمرة والثقافة كلها مصدرها اللغة، لذلك ركز المستعمرين على اللغة، فمثلا أي كاتب يحاول الوصول إلى الشهرة يجدها تتخلى عن لغته بالمقابل الكتابة بالغة العالمية للوصول إلى هدفه وتحقيق حلمه.

---

[1]-د.رامي أبو شهاب، الرسيس و المخاتلة ص100

[2]- نفس المرجع، ص101

بالإضافة إلى هذا نجد الممارسة الكولونيالية المدمرة في كل مكان، إذ لا يكتفي فيها بفرض اللغة الأجنبية بالقوة والفهم فحسب، بل نجد أن اقوي وسيلة للهيمنة الكولونيالية هي إدراج لغة المستعمر"بكسر الميم" وملحقاتها الثقافية والأدبية في المنهج التعليمي.[1]

نفهم من خلال هذا أن الكولونياليين حاولوا فرض لغتهم حتى ولو بالعنف والقوة، وهذا كله من أجل فرض الهيمنة والسلطة وللنهوض بالاقتصاد والسياسة والثقافة.

من خلال هذا نجد أن مبدعي الدول المستعمرة من الكتاب الأفارقة والعرب والهنود وحتى الأسيويين الذين باتوا عالميين، بفضل إبداعهم بلغة المستعمر هم تجسيد قوى الهيمنة الكولونيالية وقدرتها على بناء الأخرى ثقافيا، لاسيما إن عدد من مبدعي الدول المستعمرة الذين كتبوا بلغتهم المحلية لم يتح لهم أن يكونوا عالميين وللوهلة الأولى، تبدو لنا اللغة هي العائق ولكن العائق الحقيقي يتمثل بنسق يدعي العالمية وهي عالمية تتويج المركزية الغرب ولغته.[2]

نلاحظ من خلال هذا أن الكاتب الإفريقي أو العربي إذا كتبت بلغته لم يتحقق النجاح المرغوب بينما إذا استعمل اللغة العالمية قد يلقي عمله نجاح ومتابعة.

إن "نغوجي" قد أعطي اللغة أهمية بالغة واهتم بدراساتها، حيث نجد أنه ألقى الضوء عليها وقال بأن أهمية اللغة تكمن في تحكمها بالقيم الاقتصادية والثقافية وأضاف في هذا المجال أنه:

---

[1]-شمس الدين شرفي،جدلية الشرق و الغرب أو الهجنة و المشروع الكولونيالي، ادوارد سعيد، جامعة الشهيد عباس لغزو بخنشلة، ص18

[2]-رامي أبو شهاب، الرسيس و المخاتلة ص101

" ثمة الاستعمار في مراحل الكولونيالية وما بعد الكولونيالية يوثق يد الإفريقي على المحراث ليقلب التربة، ويطبق على عينيه عمامتين كي يرى فقط الدرب الذي رسمه له السيد المسيح والإنجيل والسيف، هكذا تبدوا اللغة ميدانا من يسيطر على الفضاء بأكمله.[1]

من خلال هذا نجد أن " نغوجي" ركز كثيرا على اللغة كونها أداة يتم من خلالها التواصل واعتبارها وعاء ثقافي كما اعتبرها وسيلة تساهم في تحقيق الانسجام بين الأفراد، والمحيط الذين ينتمون إليه والبنية التي يعيشون فيها.

ولهذا يسعي " نغوجي " إلى مناقشة اللغة من منظور لغة الأدب الإفريقي الذي كتبه باللغة الانجليزية أو الفرنسية متسائلا عن الانسجام بين الذات ولغتها.[2]

بالإضافة إلى هذا نجد أن رؤية " نغوجي" تعبر عن أزمة اللغة لدى الشعوب المستعمرة، لا تقتصر على الاستخدام التواصلي فقط، تنسحب على لغة الإبداع والإعلام والثقافة هنا التفسخ اللغوي الواقع على البنية الثقافية، يأتي نتيجة لغة المستعمر ومركزيتها.[3]

نجد " لغوجي" هنا يرى بأن اللغة أصبحت أزمة تعاني منها الشعوب المضطهدة التي وجدت نفسها مجبرة على الإطلاع على لغة الأخر للوصول إلى ما المحتوى الذي يحمله المستعمر.

---

[1]- رامي أبو شهاب، الرسيس و المخاتلة، ص 102

[2]- نفس المرجع ص103

[3]- نفس المرجع،ص 104

ومن خلال هذا نجد أن هناك فجوة ثقافية التي تكونت عندما اندرجت استحواذات أو الحالات ثقافية أو مرجعية، ربما تكون غير معروفة للقارئ، تصبح هذه الكلمات مجاز مرسلا لثقافة الكاتب والجزء الذي يعبر عن الكل أكثر من كونها تمثيلات للعالم كما يمكن أن تفعل اللغة الكولونيالية هكذا فإن اللغة المدرجة ترمز إلى الثقافة المستعمرة بطريقة مجازية، وتكون مقاومتها الفعلية للتفسير فجوة بين الثقافة القارئ وثقافة الكولونيالية لهذا فإن الكاتب المحلي قادر على تمثيل عالمه أو عالمها للمستعمر وآخرين في اللغة الحواضرية وفي نفس الوقت يشير إلى الاختلاف عنها ويؤكده في الواقع فإن لسان حال الكاتب أنني استخدم لغتكم لكي تفهموا عالمي ولكنكم أيضا سوف تعلمون عن طريق الاختلافات في الطريقة التي استخدمها أنكم لا تستطيعون أن تشاركون خبرتي.[1]

نلاحظ هنا أن أي كاتب يريد توصيل عمله إلى أي دولة الخطورة الأولى الذي يقوم بها هي استعمال لغتهم حتى يفهموا ما يريد توصيلة ويتأقلمون مع العالم الذي يمثله لهم ولكن كل هذا بلغتهم، وهذا يعتبر فجوة بين القارئ والمتلقي.

في ظل هيمنة اللغة الكولونيالية تنقسم عرى الذات مع لغتها الأم لتنشأ فجوة واسعة بفعل لإزاحة اللغوية التي مارستها اللغة الكولونيالية الانجليزية على لغة ما قبل الإستدمار،لأجل هذا ألا يغفل "ادوارد سعيد"على الإشارة إلى أن الواقع الكولونيالي الناشئ عن كون مصر وفلسطين واقعتين

[1]-كرمة سامى، دراسات ما بعد الكولونيالية، المفاهيم الرئيسية ص223

تحت السيطرة الاستدمار البريطاني الذي أسفر على تعميق هذه الازدواجية اللغوية في تفكيره ولسانه بوصفها إحدى التراكمات الراسبة التي خلفها الاستدمار الأوروبي في المجتمع العربي[1]

لقد تأثر "ادوارد سعيد" من خلال الاحتلال البريطاني لمصر وفلسطين حيث وجد نفس التعمق في هذه الإشكالية التي التخص المجتمع العربي والقوى الكولونيالية.

حيث نجد الكثير من الكتاب يبررون كتاباتهم بالغة الآخر، بقولهم أن جميع البلدان تحولت إلى مجتمعات ذات طابع أممي،حتى أن "إنيتاسياي" الهندية التي تكتب بالانجليزية نجدها قد أطلقت فكرة مثيرة للجدل، مستفيدة من التعدد اللغوي الهائل في بلادها، فتجعل من الانجليزية المحلية لغة أخرى تضاف إلى اللغات الهندية، كذلك يرى " طاهر بن جلول" أن الانفتاح على الثقافة الفرنسية لا يعني فقدانا للهوية وبدوره يري الاسباني " خوان غويتسولو" أن كتب المغاربة الذين يكتبون بالفرنسية يعملون على الصعيد المعنى بمعزل عن روح اللغة الفرنسية التي يكتبون بها.[2]

كما ذكرنا في السابق أن الدول المستعمرة لازالت تعاني من اللغة التي تركها المستعمر وهذا لا يعني أن من يتكلم بلغة غير لغتهم قد تخلى على جنسيته وهويته، فبعض الكتاب يستعملون اللغة الأجنبية على لغتهم، لكن الروح الذين يكتبون بها هي روح الوطن الذي ينتمون إليه، وإذا قرأنا بعض أعمالهم نجدها تأكد هذا القول.

---

[1]– ادواررد سعيد، جدلية الشرق و الغرب،أو الهجنة والمشروع الكولونيالي ص17

[2]– رزان محمود إبراهيم، المؤثر الاستعماري في الكتابة الأدبية، إيقاعات متعاكسة تفكيكية ،ص24

بالإضافة إلى ذلك نجد أنه " لا يمكن للغات أهل البلد الأصلية أن تثمرها بسهولة، فتقدم أسلوبا مختلفا للمقاومة لما بعد الكولونيالية في وجه الهيمنة الثقافة والاستحواذ على لغة القوى الامبريالية وأشكالها الخطابية وأساليبها في التمثيل، تصبح مجتمعات ما بعد الكولونيالية قادرة والحال كذلك على الدخول بسهولة أكبر في الخطاب السائد، أو إقحام مفردات واقعها الثقافي أو توظيف اللغة السائدة يوصف ذلك الواقع لجمهور أعرض من القراء.[1]

نستنتج من سبق أنه إذا حاولنا الكتابة بلغة أهل البلد الأصلية ستواجه مشكلة في التأقلم لأنها تحتوي على أسلوب مختلف للمقاومة وكذلك الثقافة الكولونيالية وأشكالها الخطابية وأساليبها.

ومن ناحية أخرى يشعر العديد من الكتاب " أنهم بالإضافة تشجيع الترجمة بين كل اللغات المستخدمة في مختلف المجتمعات في مرحلة ما بعد الاستعمار، بما في ذلك ترجمات اللغات الأصلية لأهل البلد إلى الانجليزية والى لغات أصلية لأهل البلد إلى الانجليزية والى اللغات أصلية لسكان أصليين آخرين، فإنه من المهم بنفس القدر التأكيد على الحاجة إلى المؤسسات حواضرية وممارسات ثقافية، حتى ينفتحوا على النصوص المكتوبة باللغات الأصلية لأهل البلد من خلال تشجيع الباحثين الحواضرين، على تعلم هذه اللغات واستخدامها.[2]

برغم من تشجيع الترجمة اللغات الأجنبية إلى لغة البلد الأصلية هذا لا يعني التخلي عن اللغة الأصلية والانفتاح الثقافي لها.

---

[1]-كرمة سامى، دراسات ما بعد الكولونيالي، المفاهيم الرئيسية ص71

[2]- نفس المرجع، ص71

لكن الكولونيالية كانت غايتها تحريم استخدام كليا للغة القديمة، بعد إحدى الوسائل المستخدمة في القوى الامبريالية، فالخطوة الأولى في اتجاه وتدمير ثقافة فهي منع الناس من التحدث بلغتهم الخاصة، ترى جراني دول GRAMY DOLL وهي شخصية في مسرحية جاك دفيز التي تحمل عنوان (smell the wrind1988) barungin إن البيض قتلوا لغتنا و التي تعتبر أفصح جريمة ممكنة ارتكبها البيض.[1]

فالكولونيالية هنا حاولت إلغاء اللغة القديمة تماما ومنع استخدامها، وهذا الإحلال لغتها مكان لغة الأم للدول المستعمرة، حيث تقول "جراني" أن الدول الغربية قتلوا لغتنا الأصلية.

ومن خلال هذا نصل إلى خلاصة مفادها أن اللغة عبارة عن أداة وظيفية للهيمنة والإقصاء استخدامها الاستعمار ساعيا إلى تحقيق عدد من الأهداف منها: إصفاف الثقافة وإفقاد أثرها الداعم لتأصل الهوية بالأرض ومن ثم إقامة نوع من الاختلاف والتفوق الناتج عن مركزية اللغة والثقافة الكولونيالية، إذ تم إقصاء منظومات ثقافية برمتها، ومنها الثقافات الشعبية ولغتها وآدابها المحلية،لهذا يدعوا " نغوجي" لنموذج ثوري للنهضة اللغوية من خلال إقصاء لغة المستعمر والعودة إلى اللغة المحلية، لتفويض عملية فصم علاقة الإنسان بمحيطه وثقافاته، التي شرع الاستعمار بتطبيقها في مستعمرات.[2]

---

[1]-هيلين جبروت، جوان تومكيز، لدراما ما بعد الكولونيالية، ،النظرية والممارسة،ص243

[2]-رامي أبو شهاب، الرسيس و المخاتلة ص 106

من خلال هذه الخلاصة نلاحظ أن اللغة هي الواحدة من المقومات التي تساعد على الهيمنة ولولا هذا لما استعمل الاستعمار كوسيلة ساعيا بذلك لتحقيق الأهداف الذي رسمها،وقد أضف " نغوجي" الذي اهتم كثيرا باللغة إلى محاربة اللغة الكولونيالية أي لغة الأخر والعودة إلى اللغة الأصلية وإحياءها من جديد.

الفصل الثاني

1- نبذة عن الأديب مالك حداد

2- ملامح الكولونيالية في رواية مالك حداد

3- المفاهيم الرئيسية الدالة على الكولونيالية في رواية" ليس في رصيف الأزهار من يجيب"

4- تلخيص الرواية

1- نبذة عن مالك حداد:

ولد مالك حداد بتاريخ 05 جويلية سنة 1927 بمدينة قسنطينة وهذه المدينة هي تابعة للمدن الجزائرية الكبرى التي شهدت الاستعمار وعاشت في شوارعها ومنازلها ومدارسها وأحيائها وهذه المدينة كانت معروفة بجمالها وحسن منظرها ومن يتجول في قسنطينة يشعر وكأنه يتجول احدي المدن الفرنسية.[1]

ومن هذه المدينة الجميلة ينحدر مالك حداد، لكن الظروف الذي ولد فيها مالك حداد كانت ظروف قاسية ،حيث كانت الجزائر تعاني من الاستعمار فقسنطينة في هذه الفترة كانت متعبة بأغلال الكولون من مختلف الجنسيات الذين داسوا كرامتها وحاولوا كل ما كان ينطق فيها بالعروبة والإسلام إلى حاضره أوروبية بمعنى كلمة، شوارعها الرئيسية مغسولة بالماء العذب النظيفة ورائحتها مريحة، لكنها محصورة على العرب الفرنسيون وحدهم يستمتعون بهذه الشوارع المزينة بالورود والزهر، مجيئهم إلى هذه المدينة العتيقة ايكيفوها حسب أهوائهم وأمزجتهم وعقائدهم المتباينة، يهود ونصارى من مختلف الجنسيات قدموا إليها مدفوعين برافع الجشع والاستغلال ليستوطنوها ويسجلوا في ربوعها وجودهم مرفوض من قبل الأصليين السكان".[2]

ومن خلال هذا نرى فرنسا تنشر عاداتها وتقاليدها وثقفتها ولغتها في هذا المجتمع البسيط والمتواضع الذي كان يرفض بشدة لهذا التواجد الاستعماري.

"كان ملك حداد في هذه الفترة يتواجد مع عائلته التي هي معروفة بتماسكها بعاداتها وتقليدها البربرية المتوارثة وبتعلقها الشديد بوطنها أما عن مستواها المعيشي، فكانت ميسورة الحال، ومن الأسر المتوسطة من حيث اتخذت من مهنة التدريس سبيلا للعيش الكريم".[3]

---

[1]- أحمد منور، أزمة الهوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، دار الساحل، الجزائر 2013، ص452

[2]- عبد المجيد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر1986، ص91

[3]- عبد الله حمادي، أصوات من الأدب الحديث، دار البعث،طبعة1 ،الجزائر1926، ص91

تعتبر عائلة مالك حداد من العائلات التي تتمسك بعاداتها وتقاليدها، وبوطنها وشعبها حتى ولو كانت من أسرى متوسطة العيش.

كان والده سليمان حداد رجل الثقافة والعلم ،مارس التدريس لفترة لا بأس بها من الزمن، وكان مدرسا ناجحا في عمله، حيث كان واحد من الطلبة القدامى بدار المعلمين ببوزريعة ، وقد أصبح معلما ذو قيمة بيداغوجية لا تقدر بثمن في حياة ابنته، فقد غرس فيه منذ الصغر الإحساس بالواجب وإعطاء الأولوية لما هو روحي وبدأ مالك حداد يكبر ،لقد كان طفلا قويا ،وأحمر الشعر والبشرة وكان لون عينيه أسود، ويبدو على محياه تعبير جدي".[1]

"وأرادا لوالد أن ينقل إلى ابنه القاعدة التي اتبعها في تربية أبنائه في القبائل كان يحبه كثيرا، لكنه لم يكن يجب إظهار مشاعره له، فاللمسات والقبلات والتسامح والابتسامات كانت مرفوضة، والطفل لم يكن بحاجة إلى هذا النوع من الطيبة ، لا بد أن يعرف منذ فجر حياته بأن الإحساس بالمسؤولية والواجب هو الأهم ".[2]

من خلال هذا نفهم أن ملك حداد لم يكن الفتى المدلل في الوسط عائلته، لأن والده منذ الصغر حمله المسؤولية نفسه وعلمه متى يكون الراجل القوي الذي لا يستسلم للحياة مهما كانت صعوبتها وقسوتها، كما نفهم أن مالك حداد قد ترعرع في وسط عائلته المحافظة ومتمسكة بعاداتها وتقاليدها ومالك قد اتبع الطريق الذي يحمل الروح القبائلية القريبة من العادات الفرنسية ، أما بالنسبة لتعلمه فكان مالك حداد متفوق كثيرا في دراسته حي كان دائما يحتل مراتب الأولى في قسمه بالمدرسة الابتدائية ،وكان يتعلم بهدوء كيف يصبح رجلا، وقد اعترف الحداد لعلي خوجة جمال بأنه لا يحب الرياضيات وأن دروس الحساب تشعره بالملل شديد، وربما بسبب طابعها الجامد الخالي من الشاعرية التي تعرف عليها بفضل والدته "حمامة" التي كانت بالنسبة له منبعا لا ينصب من الطيبة والحب ، لقد أطلعت ابنيها على القصص العربية والقبائلية الساحرة وحكايات ألف ليلة وليلة الرائعة،

---

[1]-عبد الله حمادي، أصوات من الأدب الجزائري الحديث، ص253

[2]- عبد الله حمادي، مساءلات في الفكر والأدب، ديوان المطبوعات، بن عكنون، الجزائر 1944، ص253

أما مالك الطفل فكان ينام بين ذراعيها مأخوذة بسحر الكلمات التي تأخذ إلى أراضي الأحلام الجميلة والسحرية والملحمية، لقد شهدت الوالدة مخيلة ابنها الشاعرية ،وهذا المغرون من الشعر والحب مكن مالك حداد المنفي في فرنسا من أن يأمل في عام أفضل وأن يتغنى بوالدته التي كانت صاحبة فضل عليه".[1]

نلاحظ هنا أن الحنان الذي فقده من والده قد قدمته له أمه ،فوالده كان يعامله بطريقة صعبة وجدية بين أمه كانت تعوضه ما فقده من والده ،يعني الوالد علمه الشجاعة والقوة والأم علمته الحنان و العطف.

وبعد هذا التواصل مالك حداد دراسته بعد جهد ومثابرة ليظفر على شهادة البكالوريا وألم تعليمه "ليلتحق بالتعليم الابتدائي كمعلم مثل والده وفي سنة 1954 التحق بجامعة "أيكس أون بروفانس" التي تقع بالجنوب الفرنسي لمدارسة الحقوق غير أنه تخلى عن الدراسة عندما اندلعت الثورة التحريرية في فاتح نوفمبر 1954 وأصبح مناضلا بقلمه في صفوفها يكتب في مختلف الجرائد والمجلات في فرنسا وسويسرا على الفحوص وفي السنة 1956 أصدر ديوانه الشعري الأول le malheur en danger » الشقاء في خطر، وفيه اتضح توجيهه الثوري ووقوفه الكامل في صف الثورة وقد مثل جبهته التحرير أثناء الثورة في العديد من التظاهرات الثقافية ومؤتمرات الكتاب التي جرت هنا وهناك في اليابان والاتحاد السوفييتي والهند ومصر وسوريا ".[2]

من خلال هذا نلاحظ أن مالك حداد قد عاش في أجواء كلها فرنسية حتى تكونت عنه الرغبة في الكتاب الفرنسية ،لكن هذا لا يعني أنه استغنى أو مني أصله الجزائري، فتعليمه في المدارس الفرنسية وتلقيه الدروس من الفرنسي قد كان لها أكثر من حياته ، وحتى لم يكن هذا الأثر بالغ إلا أنه قد استطاع أن يخلق بعض الميول في شخصيته، وهذا ما جعله يتكلم عن تعليمه من طرف الفرنسي في محاضرة ألقاها بدمشق العاصمة السورية سنة 1961 عن التعليم الفرنسي مؤكدا أنه في

[1]- باديس فوغالي، مالك حداد نسيج حياته بين الحقيقة والتخييل، الثقافة، الجزائر 2008، ص127

[2]- أحمد منور، أزمة الهوية في الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية، دار الساحل، الجزائر 2013، ص452

الوقت الذي كان فيه تلميذا مع عدد من الأطراف الصغار يتلقون تعليما فرنسيا في المدارس الجزائر، كان المعلم يخبرهم بأن أبائهم هم من أصل فرنسي، أو الجزائريين أو العرب كما ينعتهم لا وفاء لهم، لتنكرهم لأصلهم هذا ".[1]

للتمعن في هذه المحاضرة نفهم أن الاستعمار كان يغرس في التلاميذ الجزائريين الأصول فرنسية ويعلمهم حب فرنسا وينسيهم أصولهم الجزائرية وهذا لكسبهم، كما نجد غايته في هذا هو زرع فيهم الروح الفرنسية ويزرع فيهم أن العرب خائنين لبلدهم، ومن هذا يتطور الكره في النفوس التلميذ الجزائري ويصنع ذلك حاجز القوي الذي يفصل الجزائري ووطنه، ويبدأ التلميذ يميل إلى اللغة الفرنسية على حساب اللغة العربية.

وبعد الغربة والمنفى والفترات الصعبة الذي عاشها الكاتب مالك حداد وهو يعاني من البعد و الفراق والشوق للأحبة والوطن الذي كان في فترة الاستعمار ،والبعد والفراق لا يعني أنه كان مقاطعا لواطنه الحبيب هذا غير صحيح بل كان يشارك من خلال قلمه الذي استخدمه كوسيلة للنضال، وجاءت بعدها لحظة الاستقلال حيث فرح كل الشعب الجزائري بهذا الانتصار الذي حققته الجزائر، فالفرحة كانت في الوطن وخارج الوطن الآن الاستعمار شتت الجزائريين والاستقلال هو الذي يجعلهم يتحدون ويجتمعون من جديد، فنجد هذا فكر الكاتب مالك حداد في العودة إلى أرض الوطن الجزائر الذي يعتبره أغلى ما يملك في حياته حيث " عاد الكاتب مالك حداد إلى الجزائر وعاش مرحلة صعبة إلى درجة أنه لم يكن يجد ثمن السيجارة،لوفق ما رواه ابن أخته جمال علي خوجة الروائي أيضا وهو الأستاذ للآداب الفرنسية في جامعة قسنطينة بالحياة العائلية القراءة والكتابة في بيته بأعالي قسنطينة بيت يستدرج حمام الذي يحبه مالك ويستدرج القطط التي يطاردها ليلا بأعالي، لأنها تفسد عليه

[1]- نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرر،طبعة الأولى، دار العلم للملايين بيروت، لبنان 1981، ص60

حاجته إلى صمت تقتضيه الكتابة، الكتابة التي تخوف صاحبها وتعرض عنه بعد أن كانت تهاجمه قبل الاستقلال وهو يطرف شوارع قسنطينة ".[1]

مالك حداد لقد كان وفي لأرض ألأجداده، والدم الذي كان يسري في عروقه هو دم المليون ونصف شهيد فكيف له أن ينكر أو ينسى الوطن الغالي حيث قال : أنا أكتب باللغة الفرنسية حتى أقول للفرنسيين أنا "جزائري" ، وربما تمنى أن يكتب باللغة العربية ليقول للجزائريين "أنا أكتب بلغتي لأقول لأبناء وطني كونوا جزائريين وافخروا بجزائريتكم وبثورتكم وبهويتكم وبلغتهم" ولم يستطع الكتابة بالعربية فالتزم الصمت ولكن مقولة مالك عن سبب كتابته بالفرنسية لا تفسر انقطاعه عن الكتابة بهذه اللغة لأن الجزائر نالت ألاستقلالها ولم يعد هناك من يشكك في جزائرية من فرنسيين ، أو لنقل لم يعد هناك مسوغ ليخاطب الفرنسي أنه جزائري والبحث عن أسباب الصمت تدفع بنا إلى المغامرة صوب المناهضة وقراءات مناخ السنوات التي عاشها مالك بعد الاستقلال الجزائري...

مناخ مشحون بالصراع بين ذوي الثقافة الفرنسية وبين الجزائريين المنتصرين لأصلتهم وانتقائهم ولعنتهم صراع في مجال الثقافة والتربية والتعليم والإعلام وفي مجالات الأخرى مرتبطة بالتوقع السياسي ورسم توجهات الجزائر ....صراع لم يجسم وما يزل قائما في اليوم ، والبحث عن الأسئلة هو غلغلة للخناجر الصدئة في جروح هناك من يريد لها أن لا نندمل وتبقى مفتوحة لأزمنة الأخرى".[2]

فعندما نتحدث عن مالك حداد فإننا لا نتحدث عن أديب عادي قد لا يعني صمته شيئا بل نتحدث عن مالك حداد كمبدع منفرد بأدواته الأدبية وفلسفة اللغوية وقدرته المبهرة في تقديم الجمال فكرا ولغتا وخيالا ،مبدع كان في التواصل دائم مع كثير من عمالقة فكر والأدب لعصره وبعضهم كان من الرواد المؤسسين لمدارس أدبية، و يحظى بيتهم بتقدير والاحترام."[3]

---

[1]- شرف الدين شكري، عام جديد بلون الكرز، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، ص12

[2]- جمال علاب، قراءة نقدية، منبر حر للثقافة والفكر والأدب، السبت حزيران(يونيو) 2007، ص9

[3]- نفس المرجع.، ص11

ولو قدر لمالك حداد أن يستمر في الكتابة باللغة الفرنسية لعدل خارطة العالمي بفتوحاته الإبداعية.... ومؤسف أن مالك حداد الذي تعرفه لغات أخرى، لا يعرف عنه قارئ العربية إلا القليل وفي أحسن الأحوال يعرف عنه شهيد اللغة العربية، عن تقصي الجزائريين و أيضا عن إصرار على تقصير اتجاه "أدب،المغرب العربي "عموما، سواء المكتوب باللغة العربية أو بلغات أخرى".[1]

مالك حداد هو قضية إنسانية كبرى تتعلق بهوية الأدب ولغة كما هو قضية الشعر العربي فقد أحدث مالك زلزلة في شعر المقاومة وفي وجهتها، وانتبه إلى هذا بعض المنصفين من النقاد العرب فأوضحوا تأثير مالك في قاع الثوري الفلسطيني على وجه التحديد ولكن الخجل النقدي أحيانا يمنع أن يسأل الأقلام من أي محبرة كانت تعد حروفها و معانيها... وهو الخجل ذاته الذي منع بعض النقاد أن يكشفوا حضور مالك في حداد في الانتهاج الشعري للأسماء الكبيرة في الشعر العربي".[2]

يؤرخ مالك حداد ميلاد قائلا : لقد ولدت صباح 08، ماي 1945 هذا اليوم الذي سيبقى العار الفرنسي والعار الضمير العالمي ، ففي هذا اليوم الذي سيبقى أقدم الاستعمار على قتل أكثر من خمسة وأربعين ألف جزائري خرجوا متظاهرين يطالبون بالحرية عبر شوارع بعض المدن الجزائرية ... اختار مالك حداد أن يكون يوم "مجازر مايو" هو ميلاده ولكن مالك لم يختر أن يكون يوم وفاته هو الخامس يوليو، جويلية الذي يؤرخ للاستقلال الجزائر وعيد ميلادها الوطني ... وبين مايو ويوليو هناك صرخة الحقيقة وبيوغرافيا، رجل أراد أن يكون إنسان فقال : "من السهل جدا أن أكون رجلا مثل سائر الرجال ولكن أن أكون إنسانا، فهذا هو الأمر الصعب وهذا هو الأمر المهم ".[3]

هنا نفهم أن مالك حداد ينكر ميلاده الحقيقي لأنه أذاك لم يكن مهتم بوطنه كما ينبغي وهذا ما كان سببه الانخراط مع التلاميذ الذين يتمدرسون في المدارس (اللغة) الفرنسية والحاء والده على ذلك وبهذا هو يقول أن ميلاده الحقيقي الجزائري هو 08 ماي 1945 وهذا اليوم تشرد فيه كل

---

[1]- محمد ياسين رحمة، مالك حداد شهيد اللغة العربية، مجلة أصوات الشمال، الرابط www.aswat-etchamal.com

[2]- نفس المرجع

[3]- نفس المرجع.

الجزائريين وعاشو أقصى المراحل التعذيب من طرف العدو المستبد وبالتالي وبذالك اشتعلت مشاعر الكاتب مالك حداد لأنه يبقى ذلك الجزائري الذي يسري في دمه دم الجزائري.

الكاتب مالك حداد قد مر بمراحل عديدة في حياته فمنها الشقاء ومنها الحزن ومنها المنفى ومنها الاحتراق شوق للوطن ،فشخصيته هذا الكاتب كانت قوية جدا حيث استطاع أن يضع له مكانة وسط أكبر كتاب الذين يكتبونا باللغة الفرنسية وقد أصدر روايات عرفت العالمية ، فالكتاب مالك حداد حتى وان رحل ستبقى أعماله تذكرنا بشخصيته القوية ودوره الفعال في الأدب.

توفي مالك حداد في الثاني من شهر جوان سنة 1978 وترك النوافذ مشرعة على جنازة الميت وصوته يرين في أجوائها : " اللغة الفرنسية حاجز بيني وبين وطني أشد وأقوى من حاجز البحر الأبيض وأنا عاجز أن أعبر بالعربية كما أشعر به بالعربية ... إن الفرنسية لمنفاي"وأكاد أسمعه ينشر بحروف نار الثورة بالجزائرية".[1]

ولكن رغم الموت لأزال مالك حداد يمارس سحره على الأجيال الحديثة من كتاب وقراء المغرب العربي الكبير، كأن الموت والصمت لم ينال من حضوره، كأن تأثيره يزداد كلما رسخ الغياب، والمدهش في حالة مالك حداد الذي كتب بالفرنسية أن تأثيره امتد إلى كتاب العربية، كشأن أحلام مستغانمي التي وقعت تحت سطوة لغته في ذاكرة الجسد، هي التي لم تحق ولعها شخصا ونصا .

وربما كانت الشعرية الطاغية في نصوص مالك حداد هي التي منحتها أكثر من حياة وجعلتها مفتوحة على التأويلات الدائمة ،فلا فرق بين شعره ونثره ،وربما تحولت الرواية معه إلى نشير عذب تترقرق الأغاني من جوانبه لأجل الحياة ذاتها تتحول إلى شعر".[2]

---

[1]- سور الأزبكية منتدى الآداب واللغة، بواسطة معرفتي، الثلاثاء 24نوفمبر 2009

[2]- بقلم محمد ياسين، مالك حداد شهيد اللغة العربية.

2- أعمال مالك حداد:

."لقد دهش الكاتب مالك حداد أول بداية له سنة 1956 بديوان الشقاء في خطر ، وفي سنة 1958 نشر رواية الأولى " الانطباع الأخير لينشر بعد ذلك رواية "سأهبك غزالة" وفي سنة 1960 أصدر رواية " ليس في رصيف الأزهار من يجيب" لينشر بعد السنوات الموالية روايته الأخير "التلميذ و الدرس" وأصدر في السنة نفسها ديوانه الشعري "أنصت...وسأناديت" وكتابا حول عنوان مقاله الشهير " الأصفار تدور حولها". الذي كان بمثابة بيان يحمل موقفه من الكتاب والهوية حيث يؤكد فيه أن الكاتب الجزائري، وإن كتبوا بالفرنسية فإنهم كتبوا بروح الجزائرية منبها إلى الفرق الحضاري بين اللغتين، وربما ترجم الى لغة البيان، فبطل" التلميذ والدرس" إنه لم يكن أبدا في موقعة لأن التاريخ أراد له أن يركب حصانا واحدا في عصرين مختلفين وفي حضارتين مختلفتين.[1]

[1]- شرف الدين شكري، كتاب الدوحة، عام جديد بلون الكرز، ترجمة سليم بوفنداسة، العدد75، قطر ص12

توطئة:

تظهر المفاهيم الاستعمارية، في الرواية "مالك حداد" تحت عنوان "ليس في رصيف الأزهار من يجيب" عبر مختلف مقوماتها اللغوية،كما تعتبر من أكثر الإشكاليات تداولا من طرف النقاد و الباحثين حيث يرى البعض أنها أدب فرنسي لأنها كتبت باللغة الفرنسية واتخذت من بنياتها التعبيرية والجمالية شكلا لها، ويرى البعض الأخر أنها أدب جزائري لأن روحها محلية وواقعها جزائري محض،بالإضافة إلى هذا لا أنكر أنني معجبة بالأدب الجزائري القديم والحديث، ربما لاقترابه من الذات، الإنسان، الأوطان/الأرض بحميمة مدهشة.

عندما انتهيت من قراءة رواية الكاتب الكبير "مالك حداد" والذي يلقبه النقاد بشاعر الرواية الجزائرية، وأعمقهم فلسفة وجمالا، شعرت بجمالية النص وبأنني زدت تعلقا بهذا الأدب الجميل والراقي جدا.

3- تجسيد ملامح الكولونيالية في رواية مالك حداد "ليس في رصيف من يجيب":

إن الكتابة الرواية عمل واعي متخيل يرتكز على أحداث واقعية، تؤثر في الكاتب وتدفعه لإبداع نص فني يستمد من الواقع صوره ولكنه ينأى عنه من خلال الخيال إلى عوالم موازية تمنح النص، تفرده وتميزه عن الواقع و عن غيره من النصوص، لما كان لكل رواية هوية ترتبط غالبا باللغة التي كتبت بها والكاتب الذي أبدعها والفضاء الزمني والمكاني الذي تدور فيه أحداثها.

اللغة:

هي نسق من الرموز والإرشادات التي يستخدمها الإنسان بهدف التواصل مع البشر. والتعبير عن مشاعره، واكتساب المعارف، وتعد اللغة إحدى وسائل التفاهم بين الناس داخل المجتمع، ولكل مجتمع لغة خاصة به، كما تعرف بأنها عبارة عن رموز صوتية لها نظم متوافقة في التراكيب، والألفاظ والأصوات، وتستخدم من أجل الاتصال و التواصل الاجتماعي والفردي.[1]

من الملاحظ أن اللغة هي إنتاج التفكير الإنساني وما يميز القدرة الإنسانية عن الحيوانية، فهي الوسيلة التي يمكن من خلالها تحليل الصور والأفكار الذهنية إلي خصائصها وأجزائها.

الأمثلة الدالة على ذلك:

انظم سيمون كويدج . وهو تلميذ في قسم الفلسفة . في الصف عندما قرع الجرس، وتشاء الصدفة أن يتدافع الطلاب فإذا به لا يجد مكانا إلا إلى جانب خالد بن طوبال وهذا يلتقي تلميذ أن

[1] – ينظر سميحة ناصر خليف، مفهوم اللغة، أكبر موقع عربي بالعالم، 3 سبتمبر2016، www.mawdoo3.com

مقعد سمح من مقاعد الشباب لدراسة برغسون وديكارت وللتنكر للشيخ ابن باديس ولشعراء الجزائر هؤلاء الذين لا اسم لهم ولا لغة.[1]

من الملاحظ هنا أن سيمون كويدج وخالد طوبال كانا يشتركان في شيء واحد وهو فقدان الهوية كما كان يعانوا من التشتت في استعمال اللغة فليس من السهل عليهم أن يكتبوا بلغة غير لغتهم الأم، ولكن هدفهم من تطوير لغة المستعمر كانت الخدمة القضية الوطنية.

الحرب:

الحرب عملية صراع تكون بين طرفين أو أكثر، كما أن يكون هدف إحدى الأطراف تدمير والقضاء علي الطرف الأخر أو الأطراف الأخرى، وهناك عدة أنواع للحروب الفكرية أي بالفكر والسياسات، ومنها ما يكون بالفتنة أي بزرع الفتنة بين الأفراد الشعب الواحد أو القبيلة الواحدة، وذلك لتفرقتهم وضعفهم، وإمكانية القضاء عليهم في أي وقت.[2]

يمكن القول أن الحرب هي نزاع مسلح متبادل بين دولتين أو أكثر بهدف إعادة تنظيم الجغرافية السياسية للحصول علي نتائج موجودة ومصممة بشكل ذاتي كما انتشرت بشكل كبير في التاريخ البشري.

---

[1]- مالك حداد، **ليس في رصيف الأزهار من يجيب**" ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة1999، ص8

[2]- محمد أبو خليف، تعريف الحرب، الموسوعة العربية العالمية، النسخة الإعلامية،www.monsoah.net

الأمثلة الدالة على ذلك:

والحوائط التي زينت بزخرف فاتح اللون كثيرا تجعل ساحتها الطويلة،المسقوفة، عابقة برائحة المستشفى بينما راح المدرسون يتبادلون رواية عطلتهم ومتأثر سيارتهم، في اجتماعات السرية يخالها الطلاب ذات أهمية تربوية، وكانت البلاد تعاني من شقة الرجوع إلي حالتها العادية بعد ربيعها الدامي.[1]

نفهم من خلال قول الكاتب أن البلاد شهدت معاناة وحرمان وعاشت أيام صعبة وهذا من خلال العنف الذي مارسته فرنسا عليها وشمل هذا العنف تدمير المدارس والازدحام في المستشفيات لكثرة الجرحى والمصابين من مهاجمة المستعمر، والجزائر رغم كل هذا العنف إلا أنها لم تفقد الأمل، بقيت ترسم مستقبلا خالي من الحرب وعودة الأمور إلي مل كانت عليه.

أنا مسرور، ربما لان الشتاء يشرف علي نهايته، وان الحرب سوف تنتهي عما قريب وان الموت سوف يموت، ربما لان الرواية الأخيرة تتقدم تقدما حسنا، كذلك وان القطرب سوف يرجع مرة أخرى هذا الصيف وان الشقاء ليس مؤكدا و لا أبديا...[2]

يعبر الكاتب هنا عن فرحته بخروج الشتاء والليالي الحزينة، كما يعبر عن فرحه أيضا بنهاية الحروب والموت والعودة إلى الاستقرار والأمان وهو يؤكد أن لكل شيء نهاية وأن التعب و العذاب والظلم لابد يأتي يوم وينتهوا.

---

[1]- مالك حداد، **ليس في رصيف الأزهار من يجيب** ، ص8،9

[2]- نفس المرجع، ص77

في أثناء الحرب، لا حربكم أنتم، وإنما الحرب الأخرى، آه تبا لها، لقد وقعت حروب كثيرة حتى بات الإنسان يضيع فيها !-إذن في أثناء الحرب، في عام 1953مرض زوجي مرضا خطيرا في مكان ما من المعدة...ولم نعرف أبدا إذا كان هذا الشيء قرحة أم سرطانا، وفي ذلك الحين كنا نشد الحزام على بطوننا...[1]

نستنتج هنا أن الكاتب يذكر هنا الحرب وما خلفته من فقر وجوع وتيتم، و هنا الكاتب يكرر كلمة الحرب وهذا لما خلفته في نفسه ووطنه وفي مجتمعه. فالحرب تذكره بالظلم والرعي الذي عيشه الاستعمار في أنفس الجزائريين.

الهوية:

تعرف الهوية في "**اللغة** "بأنها مصطلح مشتق من ضمير هو: ومعناها صفات الإنسان وحقيقته، وأيضا تستخدم للإشارة إلى المعالم و الخصائص التي تتميز بها الشخصية الفردية.[2]

اصطلاحا: فتعرف الهوية بأنها مجموعة من المميزات مشتركة بين جماعة من الناس سواء ضمن المجتمع، أو الدولة، و من التعريفات الأخرى لمصطلح الهوية أنها كل شيء مشترك بين الأفراد مجموعة محددة، أو شريحة اجتماعية تساهم في بناء المحيط عام لدولة ما، ويتم التعامل مع أولئك الأفراد وفقا للهوية الخاصة بهم.[3]

---

[1]- مالك حداد، **ليس في رصيف الأزهار من يجيب** ، ص84

[2]- موقع المعاني، معني الهوية ، المعانين اطلع عليه يتاريخ03 نوفمبر 2016 ، بتصرف

[3]- محمد الجماعة،23سبتمبر 2012، الهوية متعددة الأبعاد، المشهد التونسي، اطلع عليه بتاريخ 3 نوفمبر ،2016 بالتصرف

توجد العديد من التعريفات الخاصة بالهوية، وكل تعريف منها يهدف إلي توصيل مجموعة من الأفكار والمعلومات التي تعكس طبيعتها، فهي تعتبر صورة التي تعكس ثقافة الفرد ولغته وعقيدته وحضارته، وتقوم بالتواصل بين الأفراد و المجتمعات.

الامثلة الدالة على ذلك:

انظم سيمون كويدج . وهو تلميذ في قسم الفلسفة . في الصف عندما قرع الجرس، وتشاء الصدفة أن يتدافع الطلاب فإذا به لا يجد مكانا إلا إلى جانب خالد بن طوبال وهذا يلتقي تلميذ أن مقعد سمح من مقاعد الشباب لدراسة برغسون وديكارت وللتنكر للشيخ ابن باديس ولشعراء الجزائر هؤلاء الذين لا اسم لهم ولا لغة.[1]

تتميز الهوية بتبادل بين أجزائها وتقاطعها مع الهويات أخرى في علاقة جدلية ما يجعلها متحركة حيث تعتبر مشروع متشابك مع الواقع والتاريخ.

المقاومة:

هي عملية رفض الظلم و الاحتلال، ورفض كلما يتفرع عنه من مشاريع خبيثة ضد الأمة وبجميع الوسائل المتاحة، بما فيها الوسائل العسكرية، والسياسية، والإعلامية، وغيرها وبأية درجة ممكنة، وأعلاها درجة اليد، وهو الجهاد بالنفس والمال في سبيل الله، وأوسطها اللسان لفضح المحتلين الظالمين، وأذنابهم من العملاء و المنافقين، وفضح مخططاتهم الخبيثة، ونواياهم العدوانية، بحق الأمة،

[1]- مالك حداد، **ليس في رصيف الأزهار من يجيب**، ص8

وأدناها القلب، وهو كره المحتل وأذنابه وعملائه وذلك أضعف إيمان... بمعنى أن المقاومة رد فعل سياسي أو عسكري يعبر عن رفض التدخل الأجنبي الاستعماري.[1]

المقاومة حق مشروع ومطلوب للدفاع عن الوطن وهو مباح بشتى الوسائل وحسب ما تمليه الظروف إما بالسياسة وإما بالقوة فمن لا وطن له لا دين له ولا حياة له، غير أن هذه لها شروطها وأحكامها حتى لا تصبح فوضى يستغلها أصحاب المصالح لصالحهم فتضيع الحقوق ويقع الظلم وتصبح كلمة مقاومة إرهابا.

الأمثلة الدالة على ذلك:

وهذه الجملة خاصة هذه الجملة : سأفر إلى باريس فأوافيك فيها لأن تعاني ألما في قلبك ... لم تصنيف: الجزائري لا يموت أبدا.[2]

من خلال هذا الأخير وتمنعنا في كلماتها نجدها نابعة من حس قوي والكاتب هنا يحاول أن يعبر عن وطنيته وإخلاصه لوطنه والعواطف المتفجرة من شاعريته وهذا يتمثل في قوله "الجزائري لا يموت أبدا"، وهذا يعني رغم الحرب والحرمان والظلم والألم إلا أن الجزائر له أبطال صامدين يحملون في قلوبهم الحب لوطنهم وهذا ما يجعل الجزائر تصمد وتقاوم وتقف في وجه المستعمر.

---

[1]- الكاتب نرمين، بحث حول المقاومة الجزائرية، منتديات ورقلة ، الطبع و النشر2012 ، الرابطhttp://www , . .Ouargla30.com

[2]-مالك حداد، " **ليس في رصيف الأزهار من يجيب**"، ص39

عاد "سيمون كويدج" شيئا فشيئا كما كان، فالإنسان لا يموت تماما، ولا يغر تماما الفرار من ماضيه، و الجذوة مواتيه و الذكريات تذكيها.[1]

استعمل الكاتب هنا لغة الإيحاء من خلال توظيفه لكلمة (إنسان) التي توحي بالمبادئ السامية والأخلاق الرفيعة، و الكاتب هنا نجده يحن إلي ماضيه الذي لا يستطيع التخلي عنه مهما كانت الظروف.

كان خالد عندما يجافيه النعاس يتخيل وريده في حياتها الجديدة.

في أثناء الحرب، لا حربكم أنتم، وإنما الحرب الأخرى، آه تبا لها، لقد وقعت حروب كثيرة حتى بات الإنسان يضيع فيها !-إذن في أثناء الحرب، في عام 1953مرض زوجي مرضا خطيرا في مكان ما من المعدة...ولم نعرف أبدا إذا كان هذا الشيء قرحة أم سرطانا، وفي ذلك الحين كنا نشد الحزام على بطوننا...[2]

نستنتج هنا أن الكاتب يذكر هنا الحرب و ما خلفته من فقر وجوع وتيتم، و هنا الكاتب يكرر كلمة الحرب وهذا لما خلفته في نفسه ووطنه وفي مجتمعه. فالحرب تذكره بالظلم و الرعي الذي عيشه الاستعمار في أنفس الجزائريين.

---

[1]- مالك حداد، **ليس في رصيف الأزهار من يجيب** ، ص52

[2]- ، نفس المرجع ص84

الوطن:

يعتبر الوطن الراية التي ترفرف عاليا في السماء لتذكرك بأن ترفع رأسك، لأنك تنتمي في النهاية لوطن يحميك ويتباهى بك،فردا من أفراده وجنديا على حدوده، ومعلما في مدارسه تعلم الأطفال حب الأوطان وفلاحا في الحقول، ومزارعا تزرع الوطن ليغدو وطنا أخضرا مشرقا بالحياة بسواعدك أنت وبزنودك أنت حتى تأكل من خير وطنك وتتباهى بما صنعته يداك.[1]

حب الأوطان يجري في عروق كل شخص منا حتى لو لم يدرك ذلك، فيشعر الشخص بالحنين إلى الوطن والشوق الحقيقي عندما يكون بالغربة بعيدا عن أهله وعن ذكريات الأماكن التي عاش فيها عمره وطفولته.

الأمثلة الدالة على ذلك:

"أنا خالد بن طوبال لا أبني حكمي على أفكار مسبقة، إنما أنا رجل صدق ومكانة صغيرة، لا أحكم بأفكار مسبقة علي تلك الفترة التي كانت فرنسا تستطيع فيها أن تصير أخت أمي.أختا، لا هي البكر ولا هي أصغر سنا ولا هي أكثر غنى ولا أشد فقرا ولا هي أكثر حمقا ولا هي أكثر ذكاء.[2]

يكمن القول من خلال هذا السياق أن خالد بن طوبال يعتبر رجل الصدق و المكانة الصغيرة كما أن فرنسا لا تعني له شيء ولا هي أحسن من شيء ولا تستطيع ملك الجزائر.

---

[1]- أنظر ألاء أحمد، تعريف الوطن، أكبر موقع عربي بالعالم، 9 فبراير 2012، ص22

[2]- مالك حداد، **ليس في رصيف الأزهار من يجيب** ، ص148

"فما بين أمك و أمي لا يوجد دم مشترك ولكن يوجد دم في حالة الاختلاط وفي رأيي يجب أن يكون سوى كنتين، هذا في رأيي لكنني أريد أنا خالد بن طوبال رجل الصدق والمكانة الصغيرة أن تشم أمي أزهار البرتقال كما تشم أمك أزهار الخزامي، وأن تكون السيدة في مطبخها تماما مثلها تكون أمك في مطبخها، ولكن أريد أن تقول أمك لنفسها أنه عليها أن تتعلم أشياء كثيرة من أمي وأن أمي قد عانت ألاما كثيرة من أمك أكثر مما عانته أمك من أمي".[1]

نجد هنا افتخار خالد بن طوبال بأمه، كما يطالب بأن تعيش أمه ملكة حرة في بيتها كما تعيش الأم الفرنسية، كما يذكر أيضا المعاناة التي تشعر بها الأم الجزائرية من فقر وجوع وتشرد وبرد وظلم إلا أنها تبقي صامدة و تمنح القوة والإرادة والدعم لأبنائها تعلمهم الصبر والمقاومة وحب الوطن والدفاع عنه لأخر نبض ويقول بأن هذه المعاناة قد تعلم الأم الجزائرية حيث بالمقابل نجد الأم الفرنسية تجعل الكثير من الأشياء.

الإستعمار:

كان الاستعمار يعرف من قبل بأنه استيطان مناطق واحتلالها واستبعاد شعبها، ولم يتم الانتباه أو الإشارة إلى الأبعاد الثقافية من خلال تكريس ثقافة أوروبية وتعليمها للسكان المحلين وإهمال ثقافتهم الأصلية، ولذلك فإن "كلمة استعمار colonialism أصبحت تعني في القرن العشرين

[1]- مالك حداد، **ليس في رصيف الأزهار من يجيب** ، ص149

تحديدا الغزو عنوة والاحتلال وإرادة الثقافات والشعوب غير الغربية بواسطة القوى الأوروبية والأمريكية الشمالية.[1]

نستنتج من خلال ما سبق أن الاستعمار يتمثل في السيطرة أوسط النفوذ بواسطة دولة أو جماعة منظمة على مساحة من الأرض و على سكانها.

الأمثلة الدالة على ذلك:

ولكن، عندما ترحل هذه الوحوش، الوحوش المأجورة ،الوحوش كلية القدرة، الوحوش اليومية الوحوش التي لا تشبه الوحوش والتي تستفيد جميعها بدرجات متفاوتة وايم الحق، إلا أنها جميعها تستفيد من الوحشية الاستعمارية ، ولسوف ترحل جميع هذه الوحوش وتنصرف من هنا ،جميعها، ولن تبقى في شوارع قسطنطينية ولا مراكز المقاومة ولا في المعتقدات والسجون أخليت ولن يبقى على حيطان شارع ايسلي وحيطان أكس . أن، بروفانسي وفي رمال الصحراء الشقراء التي يأبى القمح الأشقر أن ينبت فيها وفي الثلج الأبيض بياضا تخجل البراءة من مثول بين يديه ... لكن عندما تنصرف هذه الوحوش فسوف تنصرف جميعها، من هنا ويبقى الرجال ،يبقى هؤلاء الأطفال الأسطوريون، هؤلاء الأطفال الذين لم يكونوا يرون رؤية واضحة جدا إلا أنهم كانوا يرون بعيدا جدا.[2]

نستنتج مما سبق أن الكاتب يقصد بلفظة الوحش الاستعمار كما يقصد كذلك بالوحشية الاستعمارية بأن محتمل يقتل النفس البريئة، أو يسجنها أو يعذبها أو ينجها، ويدمر الأراضي ويحرق

[1] – ادوارد سعيد، الاستشراق ، المفاهيم الغربية للشرق ، ترجمة محمد عناني، الطبعة الأولى2006، تذييل الطبعة1995، ص530

[2] – مالك حداد، **ليس في رصيف الأزهار من يجيب**، ص39

الغابات ويجعل كل الأعمال الإجرامية فدلالة تكرارا لكاتب لكلمة "الوحوش" هو كرهه الشديد الاستعمار.

ينبغي أن يتطرق الكلام إلى حبر الطباعة وللبغال التي تنحدر من جبل الوحش، ولسماء تموز (يوليو) وللثلوج التي تزين هامات الجبال...يا إلهي لكم تجيد الذاكرة، ملاحظة الأمور.[1]

الكاتب هنا يشبه المستعمر بحيوان و هذا إن دل على شيء واحد و هو الكره الشديد والاحتقار من تواطئي المستعمر، فالكاتب يعتبر المستعمر بدون مشاعر و بدون رحمة.

كانت الشوارع الخارجة من المدينة تؤدي إلى الحرب ، الحرب الدائرة على مرمى قريب كل القرب، الماثلة نصب العين ، تكفي لها ثنية من الأرض وباقة من الدفل وغابة من السنديان وغصن مهجور...فهي حرب اليقظة.

كانت المدينة تستيقظ، وما تستيقظ حتى تجفل، والشتاء كان طويلا وشاقا وها هي، السماء تعود إلى صفائها، ولكن لا يأتي إلى منحدرات وسفوح جبل الوحش من يقطف النرجس وشقائق النعمان !...[2]

يذكر الكاتب هنا الحرب وما تخلفه من مأساة، فهو إن كان بعيدا عنها إلا أنه يعيشها بداخله، فهو يقول بأنها خارج المدينة إلا أنه يشعر بأنها قريبة منه كل القرب، فهو يقول بأن كل

---

[1]- مالك حداد، **ليس في رصيف الأزهار من يجيب** ، ص51

[2]- نفس المرجع، ص138

شيء مسترد ومهجور كما يقول أن الشتاء كانت شاقة وطويلة كما يذكر أيضا الوحش الذي يقصد به الاستعمار الذي لا يعرف لا رحمة ولا شفقة.

الحركة الاستعمارية:

هي ظاهرة تشمل كل الممارسات التي تقوم بها دولة ضد دولة بغرض احتلال أراضيها واستعباد شعبها واستغلال ثرواتها ومحو شخصيتها، واتخاذها كقاعدة عسكرية لحماية مصالحها، وازدادت حدتها واشتد التنافس بين الدول الأوروبية في القرن 19م بفعل التحولات التي عرفتها القارة في تلك المرحلة.[1]

لقد شملت الحركة الاستعمارية عدة ميادين متمثلة في الاستيلاء و السيطرة علي دولة أخري بهدف أخذ ممتلكات شعبها و حرمانهم من حقوقهم و من وطنهم.

الأمثلة الدالة على ذلك:

لكنني اليوم مسرور، هذا هو نصيبي و شارع فير وأنى أعرفه وباريس الحي السادس، باريس قلبي، أيها الدكتور العزيز من عين الصفرا الأقاصي، ماذا حل بك؟ وشارع الآباء القديسين والأرصفة، لقد ذهبت إلى تلك الأقاصي، فصلي من أجلي أيتها الأرصفة ! أيها الأصدقاء القدامى أسرعوا إلي عندما أطوف بأنشودتي في شارع العرب، في شارع الفرنسيين... ليمس أحدهم طيبتي وأنا أغدو

[1]- فاطمة بومعراف، كتاب التاريخ، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، عدد 445، طبعة 2005، ص12

عندئذ خطرا. أنا الحرية، والحرية غدت أرملة بموت جميع أصدقائي من أجلها. فهل يمكن للإنسان أن يبني بأرملة أحد أصدقائه؟[1]

يعبر هنا الكاتب عن مدى حبه وإعجابه بباريس وشوارعها وأرصفتها كما يعبر في نفس الوقت وينادي بالحرية والاستقرار لوطنه فالكاتب يوضح أن مقابل الحرية فقد الكثير من أصدقائه ويشعر الكاتب بذهاب لذة الحياة وكأنه يقول ما فائدة الحياة و إن كان الأصدقاء غير معها.

الثورة:

الثورة كمصطلح سياسي هي الخروج عن الوضع الراهن، وتغييره باندفاع بحركة عدم الرضا أو التطلع الأفضل أو الغضب، وصف الفيلسوف الإغريقي أرسطو شكلين من الثورات في سياقات سياسية، التغيير الكامل من دستور لأخر والتعديل علي دستور موجود.[2]

تعتبر الثورة علي أنها ظاهرة اجتماعية تقوم بها فئة أو جماعة ما هدفها التغيير وفقا لإيديولوجية هذه الفئة أو الجماعة، كما تعبر عن انتقال السلطة من الطبقة الحاكمة إلي الطبقة الثوار.

الأمثلة الدالة على ذلك:

قيل لخالد بن طوبال أن أشعاره كانت تقرأ في مراكز المقاومة وفي المحتفلات، فلم يعتره من ذلك زهو ولا فرح، وإنما اعتراه الخوف ؟ الخوف الشديد ،هل هو في مستوى الرجال، في مستوى

[1]- مالك حداد، **ليس في رصيف الأزهار من يجيب**، ص77

[2]- مروة تهامى، المشاركة السياسية للمرأة في ثورتي مصر وليبيا 2011، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة 2013، ص7

انفراجتهم وفي مستوى دورهم التاريخي؟ هل يعرف الخوف مثلما يخافون، هل يعرف الاستخفاف بالبطولة كما يجهلون هم أنفسهم أنهم أبطال ؟ فهو ليس شيئا ليكون رجلا ...[1]

يعتبر التاريخ الموثق الحقائق ويعرف الأجيال بماضيهم ولكنه لا يرسخ الحس الوطني مثل ذلك الأدب الملتزم بقضايا الأمة لأنه يشحذ الهمم ويقوي الإحساس بروح الوطنية.

عندما يؤدي الأمر بالمشاعر إلى إحراق أشعاره يكون الإنسان عندها في خطر ويكون قد أصبح جلادا بقدر ما هو ضحية، وثمة شيء يكون قد أصابه الخلل، فالهجوم على فريق يرتل، لهذا أساءت الثورة الروسية لنفسها بانتحار مايا كوفسكي وبعزلة باس ترناك الكئيبة أكثر من إساءتها في محاكمات موسكو وبودابست المضرجة بدمائها، بداية،كانت هي حبر الأحمر الذي نزف من الكتاب الغاضبين، وإذا كانت سيادة صياد العصافير تثير غضب أراغون فقد كان يبكى المحبين الذين انقطع الوصول بينهم بقدر ما يبكي ديزنوس وجان بريفوست ...[2]

نستنتج أنه على الإنسان أن يعرف ما ثمن وما قيمة القلق والاضطراب الذي يؤدي إلى حرق أشعاره بنفسه.

---

[1]- مالك حداد، **ليس في رصيف الأزهار من يجيب** ، ص36

[2]- نفس المرجع ، ص41

السجن:

وردت الإشارة إلى كلمة السجن في القرآن الكريم في قصة سيدنا يوسف (عليه السلام) عند قوله تعالى(يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير؟ أم الله الواحد القهار) (سورة يوسف، الآية 39)، وكانت هذه الآية حول رؤيا لسيدنا يوسف (عليه السلام)، وقوله تعالى أيضا(قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه...) (سورة يوسف، الآية 33)

معنى السجن في **اللغة** هو الحبس ، ومعناه الشرعي هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه، سواء أكان في البلد أو بيت أو مسجد أو سجن معد المعقوبة أو غير ذلك.

اصطلاحا: فيقصد بالسجن تلك المؤسسات المعدة خصيصا لاستقبال المحكوم عليهم بعقوبات مقيدة للحرية وسالبة لها، وهي تشترك في ذلك مع الحكم بالأشغال الشاقة والاعتقال، حيث يحرم المحكوم عليهم من الخروج أو متابعة الحياة بشكل عادي وفي أجواء طليقة، والحيلوانية دون ممارسة أي نشاط ما، و عادة ما يرتبط بالسجون عدة مفاهيم وتسميات مثل الإصلاحيات أو مراكز التأديب أو دور الإصلاح وتهذيب وتقويم أو مؤسسات إعادة التربية، أو غير ذلك من التسميات كما يعرف النظام القانوني الجزائري السجن أو المؤسسة العقابية على أنها " هي مكان للحبس تنفذ فيه وفقا للقانون العقوبات السالبة للحرية، و الأوامر الصادرة عن الجهات القضائية، والإكراه البدني عند الإقتضاء".[1]

[1]– محمد حسن غانم، ديناميات صورة السلطة لدى المسجونين، مجلة الثقافة النفسية ،العدد19، المجلد5، بيروت، جوان 1994،ص163

يمكن القول أن السجن هو مكان منعزل عن بقية الأماكن بحيث يسلب الفرد حريته بالتعامل مع احتياجاته كما يريد كما يتوجب عليه أن العيش في أجواء غير التي كان يعيشها بالإضافة إلى أنه يرى نفسه مقيد من جميع النواحي.

الأمثلة الدالة على ذلك:

فلان قضى نحبه وفلان عذب وفلان فقد وفلان أوقف، ثم فلان قضى نحبه وفلان عذب وفلان فقد فقد وفلان أوقف... وهكذا دواليك.[1]

ينقل الكاتب الأوضاع السيئة التي يعاني منها المجتمع الجزائري حيث تتمثل هذه الأوضاع في التعذيب والسجن والحرمان والظلم والاستبداد والفقر والجوع والموت، وكل هذه الأحداث أصبحت شيء عادي لقد تعود عليها المجتمع الجزائري.

و يهز الحلاق ماكينة الحلاقة قائلا:

يا لها من بلاد الأنغام، ليباركها الله من بلاد، هذه فرنسا...ومع ذلك، ومع ذلك !

ومع ذلك فإن فلان قد اعتقل و فلانا قد عذب و فلانا قد اختفي...

-ثم ماذا حل بحمارك "فادا" !

وبدا "بيم- بو" كأنه يتكدس في حد قات عينيه:

---

[1]- مالك حداد، **ليس في رصيف الأزهار من يجيب**، ص46

-الحقيقة، إنه عندما وصلت ألمانيا، لم يبق هناك مسافرون ولا جزر أيضا، يا إلهي لكم أصابنا الجوع !...وكان علي أن أذهب إلى السجن...

-هل شاركت في أعمال المقاومة يا "بيم-بو"؟

- المقاومة؟

وهكذا أثبت "بيم-بو" باستغرابه وجود أناس في هذه الدنيا لا يلمسهم التاريخ، من قريب، ولا من بعيد.[1]

من خلال هذا نجد أن الحلاق هو الوسيلة لتبادل الرسائل بين الأهل في الجزائر و الأهل في فرنسا، فالكاتب من خلال هذه الشخصية يوضح أن الجزائر في القلب، ليس من الضروري أن تكون داخل الوطن لتشعر بما يشعرون، فالحلاق يقول بما أن فرنسا جميلة ولكن جمالها لا يستطيع أن ينسينا وطننا، فالجزائري في فرنسا يبحث عن وطنيتها بمجرد التجول في أرصفة باريس.

المنفى:

المنفى هو أشد الأقدار كأبة في نظره لم يزرع في نفسه عقد الاضطهاد والتعصب. على العكس فقد جعله يرى الضفاف كلها بأريحية، ولكن ليس من غير نقد، والصحيح أن نقده انطبع بطابع وضعه فهو حتى حين يؤكد أن خلفيته السياسية ونشاطه السياسي.

الأمثلة الدالة على ذلك:

---

[1]- مالك حداد، **ليس في رصيف الأزهار من يجيب**، ص70

المنفى انه عادة سيئة يجب أن نفتدها، والمنفى مثلا ، هو شارع مدام والنور الذي ينطفئ والليل الطويل وكآبة الفنادق الشاحبة والمنفى، هو الحرب، حيث تسأم باريس هذا الفالس البنفسجي الزاهي ورحى الحرب تدور ليلا ، والليل هو الذي يسوى جميع الأمور،كذالك فالليل هو الذي يصنع كل شيء موضع التساؤل، من خلال السيارات البوليسية التي تنفرج نوافذها.[1]

يذكر الكاتب هنا المنفى وهي كلمة تحمل عدة أبعاد في نفسية الإنسان الذي يعيشها بمعني أن المنفي هو الوحدة والشوق والحرمان من الأرض و الوطن والأهل والحزن والكآبة، وعندما يحل الليل وتكثر الأسئلة التي تجدلها أجوبة، وهنا تنطفئ كل الأضواء ويذهب كل فرد لعائلته ويبقي الغريب وحيدا في غربته يعاني ولم يجد من يسمع له صدى كما تعتبر كلمة الحرب لفظة شائعة ومألوفة تفسر حدث غير عادي، لأن الممارسات التي عادة ما تقترن مفهوم الحرب تخرج عن المألوف والشائع بالنسبة لطبيعة الإنسانية .

الاستقلال:

هو تحرر شعب ما من نير الاحتلال بالقوة المسلحة أو بأي وسيلة أخرى، إذا كان هذا الاستقلال مشروطا فهذا يعبر عنه بشبه الاستقلال لا الاستقلال الكامل، وكثير ما يخلط البعض بين الاستقلال والانقسام الطائفي في دولة ما وهذا ما تجهد منظمات الأمم المتحدة إلى تغييره وخلق مناخ

[1]- مالك حداد، **ليس في رصيف الأزهار من يجيب**، ص20

جديد من التسامح بين الطوائف والشعوب لإزالة أي إمكانية نشوب نزعات مسلحة، لأن نشوب أي نزاع مسلح سيؤدي إلى تدخل قوى أجنبية أي رجوع الاحتلال بصيغة جديدة.

من الملاحظ أن الحرية تعد جزء جميل للشعب أو للوطن فمن خلالها يسترجع الفرد حقوقه وأملاكه واحتياجاته التي سلبت منه ويستقر في حياته المعيشية.

الأمثلة الدالة على ذلك:

ولد هذا الحب في بلاد محاربة ، لأن حرب الجزائر لم تبدأ في فاتح نوفمبر 1945 ،كان هذا الحب رصينا، حازما ،منتصرا كالحرب وهو كالحرب كان ينبغي السلام، هكذا نشأ منطق هذا الحب من طموحه الوحيد إلى السلام.[1]

لقد وظف الشاعر هنا مشاعره وعواطفه وحنينه إلى من يحب، وإذا تأملنا قليلا نجد أن الكاتب استعمل اللغة الشعرية، حيث ليس من الضروري أن يموت الحب في بلاد تعاني من الحرب، وهنا نجد الكاتب قد شبه الحب بالحرب حيث كلاهما يبحثان عن الاستقرار والأمان والانتصار.

المطر ينهمر و خالد يأمل في العودة للقاء وريدة، يلقاها غدا، يلقاها قريبا، ويلقاها كما كانت بالأمس، أيكون هذا إذن من قبيل التفكير في المستقبل؟ كلا. فالمستقبل أنه من أجل الآخرين و من أجل الآخرين يناديه خالد ويرجوه ويتوسل إليه إلا يتأخر كثيرا و ألا يتباطأ علي طريق التاريخ الغاضب، المضرج بالدماء لكي ترجع الأكتاف المنحنية إلى استقامتها ويتحقق حلم إيلوارد:

---

[1]- مالك حداد، **ليس في رصيف الأزهار من يجيب**، ص39

"حلمت ببلاد يكون فيها للقمح قلب رحيم" ولكي يعود للحرية حق ممارستها المشترك بين الناس، وحتى لا تكون العدالة أمرا خارجا على القانون ! فهو من جهته يتمنى هذا الغد، يتمنى هذا ...عما قريب...[1]

نجد هنا خالد و تأملاته بلقاء زوجته وريده الذي لم يقطع ولا يوم الأمل، فهو ينادي المستقبل أن يقترب بسرعة كما يدعوا أيضا أن تنتهي الأيام الدامية و يرجع وطنه إلى الأمن و الاستقرار ليعيش مع زوجته وتعود الحرية والعدالة وينتشر الخير ويعم السلام على الجميع .

عندما أعود لرؤية باريس فإن وريده سترافقني، عندئذ لا يكون الصباح شاحبا وسنتعرف على عصافير الدورى وسيسجع الحمام لحبي ولا يكون نهر السين أفعى ضخمة، وسوف لا تعلن عندها محطة الإذاعة والتليفزيون الفرنسية نتائج العمليات إستراتيجية المفجعة، و سوف لا تمزق سيارات البوليس ستار الليل وحرمته إلا للتفتيش عن مجرمين حقيقيين. وتكون حيطان المنازل قد استعادت حرمتها في مهمة الحماية المنوطة بها ولا تنوب مناب رقوق الغزلان لتسجيل شعارات التاريخ ورفعها وتأتي أيام الكرز بعد أيام الرمان ولا يخاطب إنسان، إنسانا أخر بصيغة المفرد و لن يقرأ الخوف مرتسما في عيني أي إنسان، وسترافقني وريده وتشرق الابتسامات طبيعيا ولا تكون باريس حرة إلا عندما تصبح الجزائر حرة.[2]

---

[1]- مالك حداد، **ليس في رصيف الأزهار من يجيب** ص123،12

[2]- نفي المرجع، ص127،128

نستنتج أن الكاتب هنا تحدث عن مرافقة وريدة التي من خلالها يختفي كل ما خلفه الاستعمار من معاناة و ألام و استعادة راحة وطنه وشعبه والأشياء التي حرمت منها و زوال الخوف من كل أعين إشراق البلاد حيث تصبح حرة مستقلة.

الجرائم والتعذيب:

مر أغلبه بالتعذيب على طول حقبة الاحتلال سواء كان بالمدينة أو بالقرى، فلحق السكان الكثير من التعذيب لا يمكن لا يمكن أن تتوصل إلى وصف دقيق للتعذيب الفرنسي الوحشي التي قامت به القوات العسكرية داخل السجون والمحتشدات والمعاقل، فالحقيقة الكاملة لا يمكن أن نصل إليها إلا بحديث الأشخاص الذين عانوا ويلات التعذيب ورغم قيامنا باستجواب بعض المجاهدين الذين مروا بالتعذيب إلا أن الحقيقة التي توصلنا إليها تبقى نسبية، وسوف نقوم ببسط لمحة وجيزة جدا حول الجرائم البشعة التي قام بها العدو ضد المدنيين الأبرياء والمجاهدين الذين مروا بالتعذيب إلا أن الحقيقة وصمة عار في جين كل محتل بغيض وحقود، والعينة التي أخذناها صغيرة جدا بالنسبة للشهادات والاعترافات الموجودة، والتي تثبت بكل يقين عن العمليات الإجرامية التي بها قوات الاحتلال الفرنسي ضد الإنسانية، كون الاستعمار من بدايته بدأ في احتقار الجنس الجزائري العربي المسلم، صاحب الوطن المحتل ، وكان المعمرون الفرنسيون يلقون على الشعب أسماء مصغرة لقيمته من أمثال، الأهاليles indigènes. les bicous وستعملونهم في خدمة الأراضي مقابل أجور لا تسد حتى الرمق، وكان كل من يمسك به يحول إلى السجن يعذب تعذيب كبير من أجل إستنطاقة أو لحقد وضغينة داخل نفوس الفرنسيين على هذا الشعب الذي للعقل أن يتخيله أو يتصور حتى ولو

عاشه من قبل، لقد مات الكثير تحت وسائل التعذيب و منهم من يعيش مرض نفسي–صدمة–من شدة التعذيب.[1]

لقد شهد الشعب الجزائري العديد من المعاناة والآلام والحرمان والظلم من طرف العدو حيث مارس عليه جميع إجرامه بمختف الأشكال كالقتل والتعذيب وإعتقال وعلى الرغم من هذا إلى أن السكان المدينة والقرى ظلوا صامدين رغم عيشهم في صدمة أدت بهم إلى العديد من أمراض النفسية بسبب التعذيب الذي مارسه عليه الوحش .

الأمثلة الدالة على ذلك:

كان خالد عندما يجافيه النعاس يتخيل وريده في حياتها الجديدة.

فيحلم أحلام اليقظة وسط الملاحم، لم تكن أحلامه إلا بطولة وحنانا، ومن خلال الجبال الزرقاء التي تصون سرهم، غيورة من سموهم، شاعرة برفعتهم، كان يستنشف طيف زوجته وهي تعتني بالجرحى وتواسي المحتضرين، فيصلى من أجلها ومن أجل رفاقها، وخاصة أنه يصلى من أجلها.

نستنتج من هذا الأخير أن خالد لا يزال يذكر محبوبته "وريده" و كأنها ولدت من جديد حيث كان يحلم أحلام كلها بطولة وكانت"وريده" امرأة تحن إلى أن تعيش في الجبال الثائرة وعلاقتها بالخالد هي علاقة زوجية وثيقة الصلة.

قبيل العاصفة:

[1]– محمد حسن غانم، ديناميات صور السلطة لدى المسجونين، ص122،123

-يا سيدي، لم يكن هناك جزر يباع في السوق السوداء !

-ولكن، ماذا اقترفت إذن من ذنب يا"بيم- بو" أتكون قد تعاونت مع العدو؟ للذهاب إلى السجن يجب اقتراف جريمة ما...

-هذا صحيح يا سيدي، أنا مجرم، ذلك أنه عندما جاءت ألمانيا، لم يكن هناك ما يؤكل، لذلك أكلت حماري، نعم يا سيدي إنني أكلت رفيقي...ثم نهض متثاقلا، يمشق قامته ذات المائة والخمسين سنتيمترا وقبل أن يتعد أضاف:

-لكنني يا سيدي، أكلته وأنا أذرف الدموع.[1]

كما نجد هنا شخصية "بيم- بو" أنها حالة إنسانية مؤثرة وهذا في سياق كشف ما يمكن أن تؤول إليه أوضاع البسطاء في خضم الحروب التي تتسبب في تفشي الفقر و تشريد الأسر والأفراد، كما أن سلبية الحروب نأخذ بعد أخر حينما ينتقل من الماضي لتصبح جزءا من الحاضر فبعد مرور كل هذه السنين إلى أن هذه الحادثة تبقي تلاحقه أينما كان دائما يحاول إخفاؤها، لكن العار الأكبر هو الأمر الذي وصل به إلى أكل رفيق دربه وهو حماره وأنيسة.

الكتابة بلغة الأخر:

إن الكتابة بلغة المستعمر ليس بالأمر الجديد على الساحة الأدبية العالمية، فمثلا الجزائر اعتمدت لغة واحدة وهي اللغة العربية في تعاملاتها وإدارة شؤونها قبل الاحتلال، ولكن بعد الاحتلال

[1]- مالك حداد، **ليس في رصيف الأزهار من يجيب** ، ص71

زاحمت اللغة الفرنسية التي فرضها المستعمر اللغة السائدة وحاول من خلالها خلق ازدواجية لغوية تنتصر فيها اللغة الفرنسية، لأن اللغة العربية كانت محاربة بكل الطرق والوسائل، إستراتيجية تضمن التفكيك الموروث التاريخي والثقافي للجزائر.[1]

الكتابة بلغة الأخر أمر جدلي يظهر ويختفي على مائدة الحوار الثقافي، لقد شكل الاستعمار الاستيطاني في الجزائر عمل على هدم البني اللغوية والثقافية بغية طمس معالم الهوية الأصلية واستبدالها بأخرى جديدة وغربية.

الأمثلة الدالة على ذلك:

- أهناك من يكتب بالعربية بين الكتاب الجزائريين؟[2]

هنا الكاتب نجده يتساءل عن المكانة التي تحظى بها اللغة الفرنسية في الجزائر بعد الاستقلال، ويتساءل أيضا عن الكتاب الذين يكتبون باللغة العربية وهذا دليل على حبه لإنتماءه للجزائر.

– هل يساوركم الكتاب الجزائريين، جميعهم ها جس ما تسمونه بـ "مأساة اللغة" كما يساورهم.[3]

ويتساءل الكاتب هنا عن هاجس الكتابة باللغة العربية وعجزه في ممارستها وكذلك هاجس اللغة الذي يعتبره مأساة وظلم في حقه.

---

[1]– أديب بامية (عايدة)، تطور الأدب القصصي الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،1982

[2]– مالك حداد، **ليس في رصيف الأزهار من يجيب**، ص45

[3]– نفس المرجع، ص46

خاتمة

الخاتمة:

تختلف نقطة البداية عن نقطة الوصول، وذلك أن الرحلة رافقتها شغف البحث وحب الاستفادة من أفكار الآخرين، بالإضافة إلى المناقشة والتحليل ومن خلال تعمقنا في هذا البحث واطلاعنا على بعض الخلفيات الذي تبنى عليها البحث تكونت لدينا مجموعة من الملاحظات من بينها:

المصطلح الكولونيالي يبقى ذلك المصطلح الغربي، الذي حاول وبشتى الطرق أن يدمج نفسه في كل الدول التي استغلتها الدول الأوروبية واستعمرتها.

ومن هنا نتطرأ الى ما تناولناه في التمهيد المتمثل أن الاستعمار لغة يعتبر حركة التوسع من جانب الدول القوية إلى الدول الضعيفة، أما من الناحية الاصطلاحية فيتمثل في فرض الدولة سلطتها على الدول الأخرى وتستغلها، وبإضافة إلى هذا هناك مصطلحات مشتركة في المعنى مع الكولونيالية مثل الامبريالية، الانتداب، المركزية الغربية، الاستيطان، الهيمنة...

لقد إندرج مفهوم الاستعمار عند الفلاسفة المعاصرين ،كل من أنيا لومبا، وسليمون، وهوسين، وماركس، أليكسيس دوتوكفيل، عامر عبد زيد وغيرهم من الفلاسفة...

تمظهر المفهوم العام للاستعمار على أنه ظاهرة حديثة قد أثرت على التاريخ وعلى الأمم كما ظهر التوسع الكولونيالي في المستوطنات الكولونيالية المتولدة عن التوسع المجتمع الأوروبي بعد عصر النهضة الأوروبية، فقد تجلت نشأة الكولونيالية في أوائل الخامس عشر، لقد اختلفت أشكال الكولونيالية من خلال طغيان الإستعمار الغربي على دولنا العربية، للاستعمار أ ثارت سلبية وأخري إيجابية على كل من المستعمرات والدول المستعمر.

بما أن مصطلح الكولونيالية غريب عن الوطن العربي، إلا أنه استطاع أن يصنع لنفسه مكانة راقية بين الشعوب العربية ،وهذا من خلال القوة والهيمنة الثقافية التي تملكها الدول الأوروبية وانفتاح هذا المصطلح على جميع المجالات منها الثقافية والاجتماعية والدينية والسياسية .

الكولونيالية تركت أثر بالغ في الدول التي استعمرتها ، حيث في لعديد من الدول تأثرت بالأدب الكولونيالي ونهلت منه بالإضافة إلى كثير من الشعراء والكتاب الذين اتجهوا إلى الدول الأوروبية بغاية التواصل بفنونها وآدابها وثقافتها والدخول إلى المسارح الأوروبية العالمية وكتابة بعض الأعمال الأدبية المشهورة التي كان ورائها روائيين عرب.

الكولونيالية كان لها ارتباط وثيق بلغة الشعوب التي استعمرتها ، حيث حاولت أن تنسيهم في لغتهم بالمقابل التكلم واستعمال لغة المستعمر ، فرغم الاستقلال إلا أن هذه الشعوب بقيت تعاني من هذا الجانب لأن الاستعمار نشر وبقوة عامل اللغة الذي اعتبره محفزا للسلطة والهيمنة ، فمثلا الجزائر منذ الاستعمار لحد الساعة لا زالت تعاني من أثار الاستعمار، حيث نجد المجتمع الجزائري يميل إلى التكلم باللغة الفرنسية أكثر من اللغات الأجنبية الأخرى لأن فرنسا هي من استعمرتها ونفس الشيء مع معر نجد مجتمعها يميل إلى التكلم بالانجليزية أكثر من اللغات الأخرى وهذا الأن دل يدل على قوة المستعمر و التأثير البالغ التي تركته تلك الدول الأوروبية.

الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية هي ملجأ كل جزائري عجز عن التعبير بلغته الأم ، بل نجد في بعض الأحيان الظروف هي التي أجبرته على ذلك ، فهناك كتاب جزائريين كتبوا بالفرنسية لكن الروح الذي كتبوا بها هي روح جزائرية أصلية، فمن خلال هذه الكتابات كانوا يعبرون عن الظلم الذي يعيشونه المستعمرين من طرف الاستعمار وبعض الأحيان يعبرون بطريقة غير مباشرة ، وهذا ما نجده عند مالك حداد الذي تناولناه كنموذج.

يمثل الأدب الجزائري باللغة الفرنسية، والأدب الجزائري باللغة العربية وجهين لعملة واحدة، فكلاهما يمثلان صوت الشعب بكل أطيافه، ويأخذان على عاتقهما نقد الواقع المزري ومواكبة أمال وتطلعات الفرد الجزائري ومعايشة أفراحه و ألامه

وفي الأخير لا ندعي أننا قد بلغنا في بحثنا هذا المتواضع الكمال، ولا نزعم أنه بحث خالي من النقص ،ونحن كلنا نعتبر محل نقص ، فالله وحده جل جلاله هو الكامل المكمل ، بل نجزم أن جهدنا لم يحقق إلا قدرا محدودا وعسى أن يوفقنا ربي للأفضل ، لنستكمل النقص ونسد الخلل.

قائمة
المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب العربية:

1- أنيا لومبا، في النظرية الاستعمارية وما بعد الاستعمارية الأدبية، دار الحوار، سورية، الطبعة الأولى، سنة2007

2- رزان محمود إبراهيم، المؤثر الاستعماري في الكتابة الأدبية، إيقاعات متعاكسة تفكيكية.

3- إبن منظور، لسان العرب، دار المعارف، طبعة3، بيروت.

4- أنور الجندي، الاستعمار و الإسلام، دار الأنصار، المطبعة الفنية بالظاهرة.

5- حسن العلكيم، قضايا إسلامية معاصرة، مركز دراسات فلسفة الدين، العدد48،ط1 سنة 2011.

6-الجرجاني الشريف، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،1983، نسخة رقمية مطابقة للمطبوع، اطلع عليه2015/01/19.

7-محمد البشير شنيتي، كتاب التاريخ، الديوان الوطني للمطبوعات مدرسية، طبعة جديدة منفتحة،2009-2010.

8-ميجاني الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء.

9-رامي أبو شهاب، الرسيس و المخاتلة، دار الفارس للنشر والتوزيع، طبعة1، 2013، بيروت.

10- عبد الرحمن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، التبشير الإستشراق الإستعمار، الطبعة8.بيروت- دمشق

11-فاطمة بومعراف، كتاب التاريخ، الديوان الوطني للمطبوعات، عدد445، طبعة 2005.

12-كرمة سامى، الدراسات ما بعد الكولونيالية-المفاهيم الرئيسية، الطبعة الأولى، بالقاهرة، سنة 2010

13-مصطفى الشهابي، محاضرات في الاستعمار، معهد الدراسات العالمية،ج2، 1957، القاهرة

14-ابن الرشد، تلخيص ما بعد الكولونيالية لأرسطاطاليس، تحقيق عثمان أمين، القاهرة مصر، سنة1958.

-الكتب المترجمة:

1- ادوارد سعيد، الاستشراق، المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني، الطبعة الأولى، تذييل الطبعة، 1995.

2- ادوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة 2004.

3- هومي بابا، رؤية ما بعد الكولونيالية، جريدة تكست، العدد الرابع، 9يوليو2010

4- هيلين جيلنيرت، جوان تومكينز، الدراما ما بعد الكولونيالية النظرية والممارسة، ترجمة سامح فكري،مركز اللغات، 2000، مصر

5-رضوى عاشور، المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي، ترجمة إسماعيل عبد الغنى، العدد919، طبعة2005،بالقاهرة.

6-شرف الدين شكري، كتاب الدوحة، عام جديد بلون الكرز، ترجمة سليم بوفنداسة، العدد75، قطر

المجلات والدوريات:

1- أليكسس دوتكفيل، مجلة إضاءات، الكولونيالية بين اليمين و اليسار

2- خالد قاسم، تقرير عن الاستعمار، مجلة ابتسامة، العدد4، ص11

3- الكاتب نرمين، بحث حول المقاومة الجزائرية، منتديات ورقلة، الطبع والنشر2012، الرابط http://www.ouargla30.com

4- طارق ثابت، هوية الأدب بين الحضور والغياب في الخطاب النقد العربي ما بعد الكولونيالية، مجلة الأمر، العدد21، 2014.

5- رامي أبو شهاب، خطاب ما بعد الكولونيالية، مجلة الحوار، المصطلح والمفهوم.العدد4370، 19فيفري2014

6- عامر عبد زيد، مجلة الحوار المتمدن، نقد التمركز الغربي، العدد2971

7-صلاح حمود، منتدى المصطبعة، في قسم الأبحاث العلمية والثقافية.

8- عز الدين ميرغني، النقد الكولونيالي، منتديات الفرسان الثقافة، صحيفة الألوان.

9- عمر أزراج، مفهوم الخطاب الكولونيالي وممارسته، مجلة العربية، 2010/03/17

10- مختار العربي، مفهوم الهيمنة الثقافية، الحوار المتمدن، عدد 1167، سنة2015

11- محمد حمود، الحداثة و الكولونيالية، مجلة الحياة.العدد23

12- محمد بن شاكري، خطر المصطلحات الرائدة، مجلة البيان.العدد292

13-محمد حسن غانم، ديناميات صورة السلطة لدي المسجونين، مجلة الثقافة النفسية، العدد19،المجلد5، جوان1994،بيروت.

الرسائل الجامعية:

1- إسحاق إبراهيم منصور، الموجز في علم الإجرام و العقاب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، طبعة 3، عدد163، سنة 1989.

2- رشيد راسي، ملتقي دولي، أداب ما بعد الكولونيالية، جامعة العربي تبسي، بالجزائر، 2014

3- مديحة عتيق، رؤية ما بعد الكولونيالية، جامعة سوق أهراس، العدد18، 1 أفريل 2015

4- شمس الدين شرفي، جدلية الشرق والغرب أو الهجنة والمشروع الكولونيالي، ادوارد سعيد، جامعة الشهيد عباس لغزو بخنشلة.

5- طهراوي مبروكة، مصطلحات في نظرية ما بعد الكولونيالية، جامعة دالاس،العدد9، 2016.

6- مروة تهامي، المشاركة السياسية للمرأة في ثورتي مصر وليبيا،2011، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة،2013.

المواقع الالكترونية:

1-محمد بن الجماعة:الهوية متعددة الأبعاد، المشهد التونسي، إطلع عليه بتاريخ2016/11/03 الرابط: http://mbenjemaa.blogspot.com.

2- سميحة، ناصر خليف، مفهوم اللغة، أكبر موقع عربي بالعالم، 2016/09/03، الرابط:www.mawdo3.com

3- فاطمة الزهراء، مصطلحات التاريخ، أخبار الموقع، الرابط:topicboc.blog sport.com

4-موقع ويكبيديا، "من نحن" التوسع العثماني في لأسيا الصغرى ونشأة الدولة العثمانية.

5- موقع الأنترنت، الكولونيالية واستيراتيجية التجاوز في تجربة واسيني الأعرج.

6-منتدى الجلفة، مصطلحات وشخصيات التاريخ، أرشيف منتديات التعليم، الرابط:www.djelfa.info

7-محمد أبو خليفة، تعريف الحرب، الموسوعة العربية العالمية، النسخة الإعلامية، 2009، الرابط:www.mansoah.net

8- موقع المعاني، معنى الهوية، المعانين، اطلع عليه بتاريخ2016/11/03، بالتصرف.

9-مريم غياضة، مفهوم الخطاب لغة، أخر تحديث 19أوت، الرابط:
www.mawdo3.com

المعاجم:

1- جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم للملاين، طبعة7، سنة1992.

2- عبد الغني أبو العزم، معجم الغني، موقع معاجم صخر، 14يونيو2011، الرابط:www.almeshkat.net

3-جبران مسعود، معجم الرائد، دار العلم للملايين، طبعة7، سنة1992.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

- بسملة

- كلمة شكر

- إهداءات

-المقدمة

التمهيد

1-مفهوم الاستعمار لغة ..... **8 – 6**

2-مفهوم الاستعمار إصطلاحا ..... **10 – 8**

3-المصطلحات المشتركة في نفس المعنى مع الكولونيالية..... **13 – 10**

4-تعريف الاستعمار عند الفلاسفة المعاصرين ..... **18 – 1**

5-التعريف العام للإستعمار..... **21 – 18**

6-التوسع الكولونيالي ..... **23 – 22**

7-نشأة الكولونيالية..... **25 – 24**

8-أشكال المولونيالية..... **31 – 25**

9- أثار الاستعمار..... **32 – 31**

الفصل الأول: ملامح الأدب الكولونيالي وارتباطاته

1- مفهوم الكولونيالية..... **35 – 34**

2- تأثير الأدب الكولونيالي في الخطاب..... **51 – 36**

3- تأثر الأدب بالكولونيالية..... **69 – 52**

4- الأدب الكولونيالي وعلاقته باللغة..... **83 –70**

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية لرواية مالك حداد "ليس في رصيف الأزهار من يجيب"

1- نبذة عن الأديب مالك حداد..... **92 – 85**

2- ملامح الكولونيالية في رواية مالك حداد..... **117 – 94**
3- تلخيص الرواية..... **120-118**
الخاتمة
قائمة المصادر و المراجع